

أغرب القضايا الجنائية
مدحة الجادر
الناشر: مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع

أغرب القضايا الجنائية

مدحة الجـادر



ألناشر: مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع
بغداد ـ المنصور
Iraq - Baghdad - Almansor

المحتويات

مقدمة

لست اعرف لونا من الوان الكتابة، يمتزج فيه الادب بالقانون، مثل القضايا الجنائية. ذلك ان كل قضية جنائية هي قصة من قصص الواقع، وحكم من احكام القانون ـ تلك تمثل ما في القصة من ابطال ومواقف وعواطف؛ وهذا يمثل ما في القضاء من تفسير وتقييم وتطبيق.

والذين يظنون ان عمل القاضي منفصل عن عمل الاديب مخطؤون فالقاضي الجنائي حين يتناول احدى القضايا للحكم فيها، لايستطيع ان يكتفي بالوقائع المجردة؛ بل لابد له من ان يتعمق فيها في اطار مايلابسها من ظروف، ومشاعر، وفضائل، ورذائل، وان يسلط على هذا كله شيئا من علم النفس ليصح تقديره ويستقيم حكمه. فهو، هنا، يمارس جانبا من العمل الذي يمارسه الاديب.

ولقد كلفت بهذا اللون كلفا شديدا، بحكم دراستي للقانون، وولعي بالادب؛ اذ هو يجمع بين هذين أحسن جمع، وأمتعه. لذلك رحت اتعقب مضانه اينما وجدت، واتطلب حوادثه اينما وقعت. فاستوى لديّ عدد وافر من هذه القضايا؛ فجعلت انتقي اغربها، فانشر عنها فصولا هنا وهناك.

وكان وقع هذه الفصول لدى الزملاء المحامين، ولدى سائر القراء، حسنا بشكل لم اكن اتوقعه. فاقترح على من اعتز برأيهم ان اجمعها في كتاب، ليسهل اقتناؤها، والاطلاع عليها.

فالكتاب الذي بين يديك يتضمن نخبة من القضايا الجنائية من انحاء العالم، وبعضها ينشر هنا لاول مرة. فاذا صادفت الاقبال والرضى الذي انشد، فلعلي اواصل انتقاء مجموعة اخرى، تصدر في المستقبل القريب ان شاء الله.

مدحة الجادر



ذات القناع الاسود

ذات القناع الأسود

هذه قضية غريبة حقا، فعلى الرغم من اننا نعرف الجاني ؛ ونعرف المجني عليهم؛ ونعرف متى، واين، وكيف تمت الجريمة؛ على الرغم من اننا نعرف كل ذلك فان بعض جوانبها لما يزل لغزا من الالغاز! اجل، ان هنريتا روبنسن قد قضت في السجن بل قضت مدة الحياة وذهبت الى القبر ولكن الناس ما زالوا يتساءلون: منْ هي هنريتا روبنسن؟ ولماذا فعلت ما فعلت؟

وقصة حياتها مملوءة بالرجال من كل صنف: رجال احبوها، رجال ساعدوها، رجال هجروها، رجال طاردوها، رجال اتهموها، رجال دافعوا عنها، رجال ادانوها ثم سجنوها؛ ومع ذلك، هناك كثير من الرجال يسألون حتى اليوم: من هي هزيتاروبنسن؟ ولماذا فعلت مافعلت؟ واذ عجز الرجال على هذا النحو، لعل من الخير ان نترك الامر بيد النساء؛ وقد انبرت الانسة كريك رايس، الصحفية المعروفة، لانتشال هذه القضية من ظلامها الدامس! ونحن نقدم لك ماتوصلت إليه:

تقول الأنسة رايس، أول ما نبدأ به سلاح الجريمة؛ فهذا لم يكن اداة حادة ولا عمياء، ولم يكن مسدسا او بندقية؛ بل كان شيئا اكثر دقة، ولطافة، وانوثة ـ وهو السمّ! وليس السبب في ذلك ان النساء عاجزات عن استخدام العنف؛ فمنهن من قتلن بالفأس والبلطة، ومنهن من خنقن خنقا؛ وانما السبب ان بعض النساء يفضلن الوسيلة اللطيفة، الماكرة.

وكثير من سكان تروي، بولاية نيويورك، يعرفون هنريتا ـ فلقد كانت امرأة اجتماعية، في القلب من كثير من الاندية والمحافل. ولكن البعض، وأكثرهم من النساء، كانوا يتمنون لو اختارت لها مكانا اخر غير مدينتهم؛ اذ هم يزعمون انها اذا حضرت في حفل، لم يفلت من سحرها زوج من الازواج! لقد كانت فاتنة بكل معنى الكلمة؛ وحتى الذين كانوا يضيقون بوجودها، يقرون بذلك. شعر فاحم، عينان براقتان، قوام ساحر، هيئة غامضة كتلك التي تحيط بالفجر! فلا عجب ان يكون لها كثير من العشاق، ومن بين الاسماء الكبيرة في المدينة. وكان احد هذه الاسماء، كريكوري بنتلاند.

وهو من اكثر التجار رخاء، وأحسنهم مكانة، في تروي؛ رجل من الطراز

الفكتوري: صعب المنال في العمل والتجارة، سهل المنال في امور القلب والعاطفة. التقى هزيتا اول مرة بمدينة نيويورك، وهو في رحلة تجارية. كان في مطعم فندق ارفنك، فرأى الجمال يتناول العشاء على مائدة مجاورة، بكل مايحيط به من وحدة مهيبة؛ فوقع في الحب من اول نظرة، ولكنه لخجله احتفظ به في قلبه.

ثم غادرت نيويورك، فتبعها الى كيبك في كندا. وحين غادرت كيبك، حجز مكانا على نفس الباخرة، فطاف معها في انحاء بحيرة جامبلين. ولكنه في الواقع لم يكن معها.. كان يستمتع بنور قمرها وهو في الظل، يخشى ان يعلن حبه!

وفي فندق، في تروى، وجد هذا المريض بالحب لسانه. فكانت النتيجة كالسحر، اذا ارتمت في احضانه، وصارت ملكه؛ ولكن الله وحده يعلم، كم كان يشاركه اخرون في قلبها. ولكن بنتلاند لم يكن يدري بذلك، ولم يكن في حينه يهمه ان يدري. فاشترى لها منزلا صغيرا، ابيض، على ضفاف هدسن؛ وجعل يتردد عليها بقدر مايستطيع ان يفلت من رقابة زوجته واسرته؛ وراح يدفع قوائم المنزل، والخادمة الفرنسية، والبستاني.

ولكن الامور تحولت تحولا فاجعا، اثار دهشة الرجل الفكتوري الميتم؟ ولكنه لم يثر دهشة سكان تروى. وكيف يدهشون، وهم كانوا يرونها تسير والنهر ليلا، ترتدي ملابس الرجال، وتحمل مسدسين ظاهرين، وتهدد بانها ستطلق النار على كل من تسول له نفسه بالاقتراب من منزلها؟! وكيف يدهشون، وهم قد علموا انها منذ اسبوع فقط، قد سكرت فاتهمت صاحبها في الرقص بأنه يهينها؛ ثم خلقت مشهدا مسرحيا صاخبا، اضطر معه مضيفاها الى ان يطلبوا اليها ترك الحفلة؟!

والآن، جعلت هنريتا ذلك المضيف تيموثي لافاكان، وخادمته كاترين لوبي، جثتين هامدتين في معرض الجثث في المدينة!!

ولم يترك التحقيق سوى القليل من الشك في ان هنريتا قد اقترفت هذه الجريمة؛ ولكنه ترك حيرة عظيمة في معرفة الدافع لارتكابها. فالظاهر انها لم تحمل حقدا لآل لاناكان، لانهما اخرجاها من الحفلة في الاسبوع الماضي.

وكان هذان يديران مخزنا قريبا من منزل هنريتا فجاءت اليهما واشترت شيئا من

البيرة. ثم جاء البستاني بعد الظهر، فقال ان سيدته تريد ان يقرضاها دولارين! فلم يفهم السيد لاناكان لهذا الطلب معنى؛ اذ كان يعلم ان هنريتا تستطيع دائما ان تحصل على النقود التي تشاء متى ماأرادت. ثم انها كانت تنسى نسيانا بغيضا كل ما تستقرضه، وهي تحت وطأة الشراب. وعلى ذلك، رفض تلبية الطلب. ولكن ماكادت تمضي برهة وجيزة، حتى ظهرت هنريتا نفسها وهي ثملة؛ بيد انها قد انصرفت بهدوء حين رفض اقراضها. وعادت بعد ساعة بقصة سبق ان سمعها لاناكان اكثر من مرة ـ زعمت ان زوجها قد اصيب بحادث لدى السكة الحديد، وسألت ماذا تصنع؟ ثم لم تكد تمضي دقيقة واحدة، حتى نسيت هذا الحادث الخيالي، ودخلت في جدل عنيف مع بعض الرجال الذين كانوا في المخزن. وقد ترددت على المخزن، في ذلك اليوم، اربع مرات، وفي كل مرة تأتي بقصة جديدة. وعند المرة الرابعة، قالت انها جائعة، فذهبت المرأة الطيبة الى المطبخ، فأعدت لها بعض الطعام. فطلبت المزيد من البيرة، وقالت:

ـ لنشرب نخبا!

ثم اعقب ذلك مشهد لايستطيع تأديته الا واحد من آل بورجيا! طلبت سُكّرا، وقالت انها ستعد مشروبا خاصا ليس له مثيل. وفي ذلك الوقت، وفي ذلك المكان، وتحت ابصارهم، اعدّت الشراب المسموم!

وشاهدت السيدة لاناكان رغوة بيضاء على سطح الشراب، فبدأت تزيحها بملعقة؛ ولكن هنريتا اوقفتها قائلة:

ـ كلا... لاتفعلي هذا... انها أحسن جزء في هذا الشراب! وارتشفت المرأة رشفة واحدة، فناداها زوجها من المطبخ. فوضعت القدح وذهبت اليه. ثم جاء السيد لاناكان، فقدمت اليه هنريتا القدح الذي تركته زوجته؛ ودخلت الخادمة، فقدمت اليها قدحا كذلك؛ ثم صاحت:

لنشرب نخبا!

ثم أنشأت تقهقه تلك القهقهة التي يطلقها الثمل، المحطم الفؤاد؛ وظلت كذلك حتى غادرت المكان.

وقبل ان تشرق شمس اليوم التالي، مات كل من تيموتي لاناكان، وكاترين

لوبي، بعد ان قاسا اشد الالم والعذاب.

واقر وليم اوستروم، الصيدلي في منطقة قريبة، بأنه قد باع الى هنريتا كمية من الزرنيخ. ولم تكن هناك، يومئذ، قيود على بيعه؛ وكان الكل يشترونه لمكافحة الجرذان التي تعمر جبهة النهر.

ومن غريب الصدف، ان هنريتا قد أُلقي القبض عليها في ذلك اليوم نفسه؛ ليس بتهمة القتل، فان الشرطة لم تكن قد علمت به بعد، بل بتهمة السكر والعربدة وحمل السلاح. وحين فتشوا منزلها، وجدوا فيه زرنيخا يكفي لقتل جميع الجرذان على ضفاف نهر هدسن، ونصف سكان تروي ايضا! ثم أقبل المحقق بنتيجة تشريح الجثتين ـ التسمم بالزرنيخ؟ فاضافت الشرطة الى التهمة السابقة تهمة القتل بالسم.

وانتشر الخبر انتشار النار في الهشيم؛ وقفز الى الصفحة الاولى من كبريات الصحف في كل من الولايات المتحدة وكندا. وقد ظفر في كندا باهتمام خاص؛ اذ سرت اشاعة مؤداها ان هنريتا روبنسن، انما هي ابنة لروبرت وود، المليونير في كيبك؛ وانها كانت مع بناته الثلاث الاخريات، يدرسن في معهد البنات في تروي، وان اسمها الحقيقي هو شارلوت وود. وتقول الاشاعة ايضا، انه بينما كانت شارلوت في ذلك المعهد، احبت شابا ذا مكانة بارزة في تروي؛ ولكنه تزوج غيرها، وانتقل الى الغرب الامريكي. وازاء هذه الاشاعة، نشرت اسرة وود اعلانا غفلا من التوقيع في احدى صحف تروي، تنكر فيه ان هنريتا هي احدى بناتها الاربع اللائي كن يدرسن في معهد البنات في تروي؛ وتذكر ان هؤلاء البنات هن، الان، متزوجات، ويعشن في الخارج؛ وان اخاهم وليم وود في تروي، وقد ذهب الى هناك لعزيلة هذا الخبر المشين.

وقد زار وليم وود هنريتا في السجن، واختلى بها اكثر من ساعة؛ وحين خرج من حجرتها، اكد انها هنريتا ليست شارلوت البتة، ولا هي اخت اخرى من اخواته.

وفي الاشهر التي تلت، لم يزرها رجل اخر، على كثرة الرجال الذين عرفتهم، بما فيهم الذي جُن بحبها، كريكوري بنتلاند. ولذلك فان الناس قد دهشوا في المحاكمة، حين ظهر للدفاع عنها المحامي الشهير هورايتو بيلوز،

الذي لاتقل اجوره عن اربعة ارقام في جميع الاحوال!

وقد كانت محاكمتها من اغرب المحاكمات التي عرفها القضاء في امريكا، وذلك لسببين: الاول ان محامي الدفاع لم يمار في التهمة بل لم ينكرها قط بل جعل يقدم الشهود ليثبت ان موكلته مجنونة جنونا مطبقا! والثاني، ان هنريتا قد اصرت طوال المحاكمة على ان تضع على وجهها برقعا اسود، ورفضت ان ترفعه حتى حين طلب محاميها ذلك! ولهذا لقبتها الصحف «بالقاتلة المقنعة».

وقد تحاشى محامي الدفاع ان يذكر اي باعث للجريمة، وهذا يتفق مع ادعائه ان موكلته مجنونة. ومن الجهة الاخرى، عجز الادعاء العام عن ذكر باعث معقول لها، وعلى ذلك، ظل سببها لغزا من الالغاز، مثلما ظلت حقيقة شخصية الجانية سرا من الاسرار!

وقرر المحلفون انها مذنبة؛ ففقدت هدوءها الذي لازمها طوال المحاكمة، وانشات تصرخ وتصخب، فسحبت من قاعة المحكمة بالقوة. واجل الحاكم النطق بالحكم، ريثما يرفع محامي الدفاع استئنافا في القضية.

وقد ظلت هنريتا طوال المحاكمة ايضا، صامتة ازاء شخصيتها الحقيقية. ولكنها انشات الان تبكي في زنزانتها، وتطلب ان ياتي «شقيقها وليم» لمساعدتها. فهل كانت احدى اخواته حقا؟ لقد عزم محامي الدفاع ان يكتشف بنفسه هذا السر؛ والى جهوده في هذا السبيل يرجع الفضل في تخميننا لشخصيتها، ولسبب ارتكابها للجريمة.

وقد كان مما اثار فضول المحامي ايضا، ما ذكرته امراة كانت تدرس مع شارلوت وود، من ان الاصبع الصغير ليد شارلوت اليمنى كان معوجا بسبب حادث وقع لها اثناء الركوب؛ وكان اصبع هنريتا كذلك. ثم وقع شيء اخر؛ كانت هناك امراة تدعى سيرينا مودي؛ وقد عرف عنها انها كانت في خدمة ال وود في كيبك. زارت هذه المراة هنريتا في السجن، فبدا عليهما فورا انهما تعرف كل منهما الاخرى! وعلى حين غرة، جمعت مودي حاجياتها فانتقلت الى

فيلادلفيا. فلماذا تركت هي ايضا هنريتا، كما فعل الاخرون؟! وذهب المحامي الى فيلادلفيا، فزار المراة فخرج بانطباع مؤداه انها قد عرفت ان هنريتا هي شارلوت؛ ولكن شخصا ما قد ضغط عليها بصورة من الصور لتظل صامتة! ولكنها زودته باسم وعنوان خادم كان يعمل ايضا لدى ال وود، ويدعى بوريا دنكن، ويقيم في بيكسكل في نيويورك. وقد صعق هذا حين اخبره المحامي بانه يعتقد ان «القاتلة المقنعة» هي شارلوت وود؛ ولم يشا ان يفضي بشيء حتى اوضح له المحامي بان كل ما يستطيع ان يكشفه من ماضي شارلوت قد يساعد على انقاذها من المشنقة. عندئذ اخبره دنكن بان شارلوت قد احبت فتى من اسرة غنية في تروي حين كانت طالبة في المعهد وفي السادسة عشرة من عمرها. فما كان من والدها الا ان قطع هذا الحب؛ وحين بلغت التاسعة عشرة تزجت الملازم ايليوت وذهبت لتعيش معه في انكلترا. ولم يمض وقت طويل حتى كانت رسائل الزوج الى والد الزوجة، تتحدث عن نوبات تنتاب شارلوت من سوء المزاج والصمت الحزين بالاضافة الى ادمان الشراب. وقد رزقا طفلين كانت شارلوت تحبهما. لكنها هجرت ايليوت بغتة وتركت الطفلين تحت الرعاية في لندن، وارتحلت مع خادمتها الفرنسية الى نيويورك. وحين طلب اليها والدها ان تنسى حبها الاول وان تعود الى زوجها رفضت الاستجابة؛ فما كان منه الا ان آمرها بان لا تدخل بيته ثانية.

وعثر الاستاذ بيلوز على الخادمة الفرنسية، فاخبرته بان سيدتها قد احبت رجلا راته لاول مرة في فندق ارفنك في نيويورك، وهو الذي قدم اليها المنزل الابيض على ضفة النهر. وكان الاستاذ بيلوز قد سمع الاشاعات وعرف ان هذا الرجل هو كريكوري بنتلاند. وقد صار الان مقتنعا بان «القاتلة المقنعة» ما هي الا شارلوت وود. ولكن اللغز الثاني قد بقي بدون حل؛ فسواء كانت عاقلة او مجنونة لماذا قتلت شخصين بريئين؟ كان هذا السؤال يحيره فلا يجد له جوابا سوى الجنون المحض!

وقد استطاع الاستاذ بيلوز بهذا الجواب ان ينقذ موكلته من المشنقة ليحكم

عليها بالسجن مدى الحياة. ولكن لم يكن هناك احد راغبا في ان يثبت بصورة رسمية ان هنريتا روبنسن هي شارلوت وود. وعلى ذلك فقد ظلت امام السلطات وامام الناس هنريتا روبنسن؛ وبهذه الشخصية دخلت السجن وهي ما تزال تضع على وجهها ذلك البرقع الاسود!

وبعد سنين اطلق سراحها فخرجت من السجن امراة محطمة ليس لها ما تعيش من اجله، فاختفت وراء برقع من النسيان والشيخوخة. ويشاع ان اطلاق سراحها قبل انقضاء المدة انما يعود الى مساعي كريكور بنتلاند، الذي شعر حين اقترب منه الموت بان عليه ان يكفر عن ذنبه ازاء المراة التي احبها ثم تركها وحيدة ساعة المحنة!

هده هي الوقائع كما سردتها الانسة كريك رايس، وهي تتساءل في النهاية: ما هي الحقيقة وراء هذا القناع من الصمت والاخفاء والتهرب، الذى القى الغموض على قصة هنريتا روبنسن، وعلى مصيرها الفاجع؟ فتجيب بان هناك ملابسات لا سبيل الى نكرانها: هناك مثلا زيارة وليم وود لها في السجن حين كانت معدمة، ومنبوذة؛ ومع ذلك فبعد ايام قليلة من هذه الزيارة استدعت بستانيها العجوز الى زنزانتها فاعطته ظرفا مختوما ليسلمه الى المحامي هوراتيو بيلوز. وقد احتوى ذلك المظروف على مبلغ خمسة الاف دولار، وعلى رجاء بان يزودها ببرقع اسود وعلى توكيل له بالدفاع عنها، وان يقبل ذلك المبلغ على حساب اتعابه. وقد اعترف بيلوز بهذا كله فيما بعد. فاي معنى يكمن وراء ذلك؟ اني اعتقد ان المعنى واضح: فوليم وود جاء موفدا من قبل الاسرة؛ فعرض عليها ان يقدم لها المال اللازم للدفاع عنها بشرط ان تكتم حقيقة شخصيتها!

فاذا سلمنا بان هنريتا روبنسن هي شارلوت وود اصبح من الاسهل ان نفهم الباعث لجريمتها. لقد نبذها اهلها بدون ذنب سوى انها لم تستطع ان تقبل الحياة مع رجل لا تحبه وان تنسى الشاب الذي لم تتوقف عن حبه. وقد ظلت

تتجرع غصة هذا الظلم حتى التهبت في اعماق نفسها شهوة الانتقام - الانتقام من اسرتها التي سلبتها حبها الاول فدمرت حياتها تدميرا. وحين تهيج في الرجل شهوة الانتقام سواء ضد اسرته او غيرها، فمن المتوقع ان يتخذ طريقا مباشرا فيصب نقمته على اولئك الذين ظلموه انفسهم. اما المراة فمن المتوقع ان تتخذ طريقا غير مباشر؛ ونتيجة ذلك ان تصب النقمة على اشخاص ابرياء!

لم يكن لدى هنريا او شارلوت شيء ضد تيموثي لاناكان او خادمته كاترين لوبي. ولقد كان هذا الرجل الايرلندي وزوجته كاب وام لهذه الفتاة التعسة. وهذا بالذات هو الذي كلف الرجل وكاد يكلف زوجته ايضا، حياتيهما! ذلك ان شارلوت كانت ثائرة على الابوة والامومة؛ ميالة الى الانتقام منهما! وطالما كان لاناكان يلبي طلبات شارلوت كانت هذه تستطيع ان تكبح جماح باعثها الجنوني الى الانتقام؛ ولكن في اللحظة التي تنكر لها برفضه اقراضها الدولارين فقدت كل سيطرة على نفسها تحول دون قتله فكان ما كان. اما استخدامها السم بدلا من المسدس الذي كانت تحمله دائما، وتهدد به الاخرين فهو دليل اخر على نزعتها الانثوية في اللجوء الى الطرق غير المباشرة. ولعل هذا هو السبب، في ان السم هو سلاح المراة فى اغلب الاحيان!

الاديب القاتل



الاديب القاتل

هذا مجرم ليس كسائر المجرمين، وان جعله القدر واحدا منهم. فهو حاد الذكاء واسع المعرفة ينظم الشعر ويدرس اللاتينية وينفق وقت فراغه القليل في التامل والبحث العسير. وكان طلابه يعجبون به اشد الاعجاب، ويضمرون له الحب والاكبار ويرونه اسوة حسنة في التمسك بالنظام، والانقطاع للعلم، والاحترام للدين. ولولا انه كان معلما في بلدة نائية لصار له شان بين العلماء ومكانة في المجتمع.

ولد يوجين ارام سنة ١٧٠٤؛ وابوه بستاني بسيط ذو موهبة ادبية. ومنه تعلم ابنه نظم الشعر. وقد التحق الصبي بالمدارس الريفية فافاد منها القليل؛ بيد انه كان ذكي الفؤاد مرهف الحس قوي الارادة فتعلم كيف يعلم نفسه، وخرج من تلك الحدود الضيقة الى الوان من الدراسات المختلفة لاسيما فقه اللغات. ثم بدأ حياته العملية موظفا صغيرا في احد المكاتب، وتحول بعد ذلك الى التدريس، فكان موفقا فيه الى حد بعيد.

وقد استاثرت قضيته باهتمام الراي العام وكتبت عنه الفصول القصار والطوال ووجد الادباء فيها مصدرا للوحي والالهام. فهذا اللورد ليتون يتخذها موضوعا لقصة رائعة اسمها «يوجين ارام»؛ وهذا الشاعر المعروف توماس هود يجد فيها وحيا لمرثية خالدة اسماها «حلم يوجين ارام»، سرد فيها الجوانب الانسانية لهذه الماساة وقد ذاعت هذه القصيدة ذيوعا عظيما وصار الناس يرددونها، وينشدون مقاطع منها في الحفلات الموسيقية.

وفي عام ١٧٣٤ هبط ارام مدينة فالسيرو ليعمل وكيلا في مقاطعة صغيرة ومعلما في احدى المدارس. وهنا تجلت موهبته في فقه اللغات. فقد اتقن اللاتينية واليونانية؛ وراح يتعلم العبرية؛ ثم تحول الى اللغات السلتية. وكان من اثر تعمقه في هذه الدراسات ان اعلن للناس ان اللاتينية واليونانية لم تولد

احداهما من الاخرى كما كان يعتقد يومئذ؛ بل هما لغتان مستقلتان بينهما شيء من القربى. وكذلك اعلن ان اللغات السلتية انما ترجع في اصلها الى عائلة اللغات الاوربية وهذه حقيقة ظل العلماء يجهلونها سنين عديدة.

واما المجني عليه فهو اسكافي يدعى دانيال كلارك في الثالثة والعشرين من عمره مجدور الوجه شاحبه متلعثم اللسان ولكن هذا كله لم يحل دون زواجه من شابة على نصيب من الجاه والثراء. وعلى حين غرة ورط نفسه في في معاملات مالية مريبة اثارت حوله لغطا في تلك البلدة الصغيرة. وعجزت زوجته عن انقاذه من ورطته فراح يشتري المواد والبضائع بالنسيئة.

وفي الساعة التاسعة من مساء اليوم السابع من شباط ١٧٤٥، ترك منزله زاعما انه ذاهب لزيارة زوجته التي كانت تقيم مع اقاربها في القرية المجاورة. ولكنه ارتبط في ذلك اليوم نفسه بموعد في الصباح التالي. ثم لم يظهر في الموعد المضروب فاجري التحري عنه فتبين انه لم يزر زوجته في الليلة السابقة كما زعم وانه مفقود مع ما كان معه من نقود وسلع.

وكان من الطبيعي ان يقلق دائنو كلارك لاختفائه؛ ثم تطور هذا القلق الى خوف، ثم الى نفاد صبر فاعلنوا عن جائزة لمن يدلهم على مكانه وتعهدوا بعدم توجيه الاسئلة لمن يرشدهم اليه. وقد شاع ان المفقود كان قبيل اختفائه مع ارام وشخص اخر يدعى هاوسمان. فظن الجميع ان الثلاثة شركاء في جريمة احتيال. وطالبوا باجراء التحقيق. فعثر لدى كل من ارام وهاوسمان على اشياء كانت قد فقدت من منزل كلارك. ودفعت هذه الاشياء الى الدائنين لقاء بعض دينهم فسكتوا الى حين. ولكن اختفاء الرجل ظل يقلق اهله وذويه؛ وهذا طبيعي كما ظل يقلق دائنيه، لان الملابسات المحيطة باختفائه، تشير الى وجود ما يشبه الاتفاق الجنائي للتخلص من الدين.

وبعد ايام قبض على ارام نفسه من اجل دين؛ فاثار دهشة الموظف المختص اذ راه يدفع الدين علي الفور، وهو يعرف فاقته. وكان من قبل ذلك قد فك رهنا عليه ايضا. وهذا كله دليل على ان موارد الرجل قد زادت بغتة؛ فثارت

الريبة في امره، وارتقت في بعض الاوساط الى مستوى اتهامه بسرقة اموال كلارك؛ فقبض عليه وحقق معه، ولكن الادلة لم تكن تكفي لادانته فافرج عنه.

وفي نيسان ١٧٥٤ هبط ارام لندن فاصبح معلما للاتينية بمدرسة في بيكاديللي، ثم انتقل الى مدرسة اخرى في بلدة هيس في ميدلسكس. وبعد حين احترف استنساخ الوثائق القانونية. حتى انتهى به المطاف الى التدريس في معهد King's Lynn . وكان من بين طلابه هناك جيمس برني الذي صار فيما بعد، اميرالا مشهورا.

في اول اب ١٧٥٨ كان عامل اسمه تومبسون يحفر في الارض بالقرب من فالسبورو فراعه ان ظهرت عظام بشرية. وبعد يومين استانف الحفر فظهرت بقية الهيكل العظمي. وجيء بالجراحين لفحص هذا الهيكل، فكان قرارهم ان تلك العظام تعود لشاب في عمر كلارك وفي حجمه وانها قد مضى عليها وهي مدفونة، المدة التي مضت على اختفائه! وقرر المحلفون بدورهم، ان العظام المكتشفة انما هي بقية من جثة كلارك، وانه قد قتل من قبل مجهول!

ورانت الحيرة على اهل المدينة، وطلبوا الى هاوسمان ان ينظر العظام بنفسه، فيبدي رايه. وقد فزع من هذا الطلب بادىء الامر وارتبك ارتباكا ظاهرا. ولكنهم الحوا عليه فالتقط باشمئزاز احد العظام ثم قال ببرود: هذه ليست عظام كلارك بقدر ما هي ليست عظامي! ولما سالوه عن سبب جزمه اجاب بان لديه شاهدا قد راى كلارك حيا بعد اختفائه! واحضر هذا الشاهد فعلا، فايد مازعمه هاوسمان. ومن الغريب ان هذه الشهادة اعتبرت قاطعة من غير ان يسال سائل: الايجوز ان يكون كلارك قد قتل بعد اختفائه بفترة؟! وعلى ذلك استدعى المحقق هيئة محلفين جديدة فكان قرارها ان العظام التي عثر عليها لا تعود الى المفقود، بل الى شخص مجهول قتل بايد مجهولة!

ولكن الحاكم لم ياخذ بهذا القرار، فاصدر امرا بالقبض على كل من

هاوسمان وارام بتهمة قتلهما كلارك. وذهب الى ان الناس كانوا مصيبين حين ظنوا بالمتهمين الظنون، وان عدم العثور على الجثة لايغير من الامر شيئا ولا يحول دون اتخاذ الاجراءات القانونية.

واستجوب هاوسمان فكانت اجوبته متناقضة محيرة. اعترف في اول الامر بانه كان مع كلارك ليلة اختفائه ولكنه تركه بعد ذلك في منزل ارام. ولما مثل امـام الحـاكم ثانيـة، قال في هذه المـرة انـه قد راى آرام يضـرب كلارك عدة ضربات، حين كانوا بالقرب من كهف القديس روبرت فهرب هو، ثم علم بان ارام قد رجع بمفرده! وبعد حين وصف المكان الذي اخفيت فيه الجثة، وعثر على جثة فعلا في المكان الذي وصف.

وبدا تحقيق جديد واستمع الى بعض الشهود. ولكن اكثر هؤلاء لم يشهد بما راى بل بما سمع! والشيء الوحيد الذي امكن التوصل اليه في هذا التحقيق هو ان صاحب هذه الجثة، قد قتل بضربة شديدة على قاعدة جمجمته. وكان قرار المحلفين في هذه المرة ان الجثة المكتشفة تعود الى كلارك، وان قاتليه هما: ارام وهاوسمان!

ومن غريب الصدف ان شخصا من فارسبورو كان قد ذهب الى بلدة لن قبل شهرين من اتخاذ هذا القرار. وهناك راى ارام فعرفه. ولكن هذا انكر شخصيته انكارا. وحين سمع هذا الشخص بخبر الجثة التي وجدت في الكهف، والقرار الذي اتخذ بشانها اخبر السلطات بمكان ارام فقبض عليه. وكان في استقباله زوجته وبناته واخرون. ولكنه لم يعرف بناته اذ كان قد تركهن وهن صغيرات. فلما عرفهن دنا منهن ولم يزد على ان سال: حسنا ... كيف انتن؟!

وشرع في استجوابه فقال انه لا يعرف شيئا عن اختفاء كلارك. وحين كان يجابه بالوقائع كان يدعي في اغلب الاحيان انه لا يتذكر من امرها شيئا. فاودع السجن وهنا قال ان لديه مزيدا من المعلومات يريد ان يفضي بها. فاعترف امام الحاكم بانه هو وهاوسمان وشخص ثالث يدعى تري، قد ساعدوا كلارك على

نقل بعض امتعة هذا الاخير من منزله الى كهف القديس روبرت، حيث راحوا يطرقون الانية الثمينة الى صفائح. ولما حلت الساعة الرابعة مساء، وجد كلارك ان الوقت لم يعد ملائما لرحيله وفضل ان يبيت في الكهف حتى اليوم التالي وتعهد تري بان يجلب له الطعام. فلما كان اليوم التالي ذهب هو وصاحباه الى الكهف. وبعد حين سمع من داخل الكهف اصواتا، فحسب انها ناشئة عن طرق ما تبقى من الانية. وبعد مضي ساعة خرج صاحباه فاخبراه بان كلارك قد مضى لطيته ثم عادوا جميعا الى منزل هاوسمان واضاف ان تري قد اخبره بعد حين بانه قد باع هو نفسه الصفائح في اسكوتلندا.

واستجوب تري حول ما جاء في اقوال ارام هذه، فانكرها جملة وتفصيلا. ولكن التهمة قد وجهت اليه ايضا.

وقضى ارام الفترة التى سبقت المحاكمة في الدراسة والتاليف وتهيئة دفاعه. وقد استاثر باهتمامه في هذه الفترة كتاب يبحث في مدافن القديسين ومن هذا الكتاب استنتج ما اورده في دفاعه، من ان بقايا الجثة التي عثر عليها في كهف القديس روبرت قد تعود الى ناسك دفن هناك منذ مئات السنين.

وفي الثامن والعشرين من تموز ١٧٥٩، انعقدت محكمة الجنايات للنظر في هذه القضية.

وكانت محاكمة هاوسمان شكلية؛ اذ لم يقدم ضده اي دليل حاشا اقوال ارام؛ فقررت المحكمة براءته.

ثم بدات محاكمة يوجين ارام. وقد تولى الادعاء العام فيها الاستاذ فلجر ورتن، وهو من افذاذ رجال القانون يساعده ثلاثة اخرون. وكان الشاهد الاول هاوسمان، فكرر اقواله السابقة. ثم تعاقب شهود اخرون لتاييد الوقائع وما نسب الى المتهم من تصرفات. واخيرا طلب الى المتهم ان يلقي دفاعه اذ لم يكن قد وكل عنه محاميا؛ فالقى ذلك الدفاع الذي يعتبر من ابلغ ما ورد في سجل المرافعات الجنائية.

وقد استهله بملاحظات عن جهله بالقانون وعدم خبرته باجراءاته؛ ثم استنكر ان تسند اليه مثل هذه الجريمة فمثله لا يمكن ان يرتكبها. ذلك ان سيرته نقية في جميع مراحلها: فهو لم يتفق في حياته قط على تدبير عمل من اعمال الاحتيال، ولم يلجا مرة الى العنف، ولم يلحق ضررا باي شخص او باي مال. وانما كان يملا نهاره بالعمل الشريف وليله بالدرس الجهيد. واوضح انه لم يحدث ان فسد انسان في لحظة وجيزة؛ ذلك ان النذالة تستلزم وقتا لتنمو وتتطور حتى تبلغ مرحلة الجريمة. ثم انه كان وقت الحادثة قد غادر فراش المرض، ولما يزل يعاني من اثاره. وليس هناك من باعث يحمله على قتل كلارك. ثم اين الدليل على ان هذا قد مات؟! ان مجرد اختفاءه لا يعني موته، والقول بعكس ذلك انما هو ضرب من الضلال. وذكر ان تاريخ القضاء قد عرف حالات عديدة وجد فيها اشخاص يسعون في الارض بعد ان ادين اخرون بقتلهم. اما بالنسبة للهيكل العظمي فقد ضرب امثلة عديدة على انه لا يثبت شيئا. وقال ان القضية الحاضرة نفسها دليل جديد على هذه الحقيقة؛ افلم يظن الناس بل الخبراء بان الهيكل العظمي الذي وجد اول مرة انما يعود الى المختفي، ثم تبين انهم كانوا من المخطئين؟! وفي ختام دفاعه قال: اني بعد سجن دام سنة اضع اخيرا نفسي رهن عدالتكم وانسانيتكم . . . انتم يا حضرات القضاة . . . وانتم يا مواطني حضرات المحلفين الكرام.

كان دفاعه باجمعه قطعة ادبية رائعة. ولكن تاثيره يقتصر على اصحاب الفصاحة والبلاغة لا على رجال القانون. واكبر عيوبه انه قد اعد مقدما فهو لا يجيب على كثير من النقاط التي اثيرت اثناء المحاكمة. ولذلك صارت هناك هوة عميقة بين الجو النظري الذي انطلق فيه الدفاع، والجو الواقعي الذي ساد المحاكمة. ولقد اتضح منذ البداية ان قضية المتهم كانت خاسرة؛ لذلك لم ينفق القاضي وقتا طويلا في تلخيصها، ولم يتردد المحلفون في تقرير الادانة فيها.

ثم شرع في محاكمة تري؛ وبما ان الدليل الوحيد ضده هو اعتراف ارام،

فلم تبق له قيمة بعد ادانة الاخير، فقررت براءته.

وحدد السادس من اب موعدا لتنفيذ الحكم على ارام. وقد استقبله بالهدوء التام؛ وراح يقضي الايام القليلة الباقية، في لقاء زائريه، وقد اعترف لاحد رجال الدين بانه قد ارتكب تلك الجريمة، ظنا منه ان زوجته كانت تخونه مع كلارك، كما ذكر لاخرين ان هاوسمان قد حثه على قتل زوجته لكيلا تبوح بما تعرف. ومهما يكن من شيء فان الهدوء الظاهر على هذا الرجل، كان يخفي تحته شعورا عميقا بالخزي والعار. وبهذا الشعور حاول الانتحار في الليلة السابقة للتنفيذ، مما اورثه ضعفا شديدا؛ فجر الى المشنقة جرا، فاعدم امام حشد عظيم من الناس.

وكان الحكم يقضي بان تبقى جثته معلقة بسلاسل، فظلت معلقة في نارسبورو عدة سنين. وبمقتضى العرف السائد، آنذاك، كان على ارملته ان تجمع ما يتساقط من جثته فتدفنها. ومن الطريف، ان احد الاطباء، ويدعى هاجنسون، قد سرق الجمجمة ذات ليلة، فاحتفظ بها مدة، ثم آلت الى متحف الكلية الملكية للجراحين، وهي لما تزل هناك!

وهكذا إنتهت مأساة هذا المثقف الموهوب. وهي مصداق لمن قال: من لم يحصّن نفسه، لم ينفعه علمه.

الواعظ المزور



الواعظ المزور

لم يكن له من كرم المحتد، وسلطان النفوذ شيء يذكر؛ ومع ذلك فقد ارتقى الى مكانة مرموقة في اوساط الادب والمجتمع. فما كاد يبلغ الثلاثين حتى كان واعظا معروفا ومؤلفا مشهورا واستاذا لابناء المترفين، وقد كان بوسعه ان يحتل عن جدارة اي منصب من مناصب الكنيسة ولكن تبذيره وبذخه وحبه للمظاهر قد ادى به الى الطيش الذي ذهب بسمعته، والى التزوير الذي اودى بحياته.

ولد في لنكلن شاير سنة ١٧٢٩ لاب قسيس. وكان في فترة الدراسة تلميذا ذكيا جادا متعطشا للمعرفة فظفر باعجاب اساتذته؛ وكان في حياته الاجتماعية حلو الشمائل عذب الحديث قوي الشخصية محبا للاناقة بارعا في الرقص ذا ذكاء ممراح، فجعله ذلك موضع الحظوة لدى النساء الفاتنات. وكان قلمه يدر عليه الربح، مذ كان في الثامنة عشرة، فصار ينفق ذلك على مسراته.

وحملته مؤهلاته على ان يتوجه الى لندن دون هدف محدد. فراح يتذبذب بين الأدب، والمحاماة، ونظم الشعر، وعقد المناظرات؛ يفعل ذلك كله، تارة على سبيل الجد، وتارة على سبيل ملأ الفراغ. وانقضت سنتان وهو على هذه الحال. ثم تزوج من ماري بيكنز، وكانت تمتلك السحر والجمال، ولكنها تفتقد الجاه والمال. وفي الوقت الذي كان فيه لا يكاد يكفي نفسه، اتخذ لزوجته منزلا فخما، في اغلى موقع، وجهزه بأفخر الأثاث!

وقلق اصحابه لمصيره، وقصوا على ابيه الحال؛ فاسرع الى لندن لارشاد ابنه. واستجاب هذا لطلب ابيه، فتخلى عن منزله، واتخذ مهنة يعيش منها. وفي سنة ١٧٥١ عين واعظا في احدى كليات كمبرج

وفي تلك السنة، نشر كتابه المعروف «روائع شكسبير»، فالتمع نجمه في سماء الأدب. وفي الوقت نفسه، كانت مواعظه تجذب حشدا من المستمعين

المعجبين، لسحر فصاحتها وبلاغتها. وكان الى ذلك، ينفق وقتا غير قليل في الميادين الانسانية؛ وقد ساهم فعلا، في انشاء جمعية لمساعدة المدينين المعدمين. وفي سنة ١٧٦٦، حصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة كمبرج.

ثم انبعث في حياة الترف والتبذير كرة اخرى. فاتخذ منزلين - احدهما في المدينة، والآخر في الريف. واستقال من عمله كمحاضر، وراح يقطع مع بعض طلابه شوارع لندن، في عربة فخمة. فبدأ دخله يتضاءل، وتراءى له شبح الافلاس. ولكن الحظ قد بسم له، فربح في اليانصيب الف باون؛ فتشارك مع بناء لتشييد كنيسة خاصة؛ فجعلت هذه تدر عليه دخلا لا بأس به. ثم عينه تلميذه الوفي، ايرل -ستر فيلد، قسيسا له. فأصبحت موارده تكفي لعيشة اليسار.

ولو ان وليم دود كبح جماح نفسه، لاستقر أمره، واستقامت سيرته. بيد ان شدة طموحه، وقلة صبره، وحبه للفخفخة، قد افسدت حياته إفسادا، وخلقت له حسّادا، ونقادا، يتهامسون بعيوبه، ويتربصون به الدوائر. ثم نشر روايته «الأخوات»، فكانت ثورة في الصراحة، والتحدي، والخروج على حدود رجال الدين. واستغل اولئك الحساد والنقاد هذه الرواية. فاستعدوا عليه السلطات، والرأي العام. فشرعت الصحف تهاجمه، وتقتحم حياته الخاصة؛ ففصلت علاقته بخادمة حسناء، تعمل في منزله؛ وصلته بسيدة معروفة في المدينة، تدعى بولي كندي. ومع هذا كله، فقد تمادى في غيّه، حتى ارتكب حماقة خطيرة.

ففي شباط ١٧٧٤ شغرت وظيفة رئيس لاحدى الابريشيات الهامة بلندن، وكان تعيين هذا الرئيس من اختصاص قاضي القضاة، وهو يومئذ اللورد أبسلي. وما كان اشد دهشة زوجة القاضي حين تسلمت كتابا بدون توقيع، يعرض كاتبه عليها ثلاثة الآف باون، اذا هي حصلت هذه الوظيفة لشخص، سيذكر لها اسمه

فيما بعد. وأظهرت زوجها على هذا الكتاب، فأمر باجراء التحقيق. وقد استطاع المحققون أن يتعقبوا مصدر الكتاب حتى منزل الدكتور دود. وحين فوتح بالامر، راح يداور ويراوغ؛ ولكن الرأي قد استقر على أنه هو مصدر ذلك الكتاب. ورفع اللورد أبسلي الامر الى الملك، فأوعز بشطب اسم الدكتور دود من قائمة قساوسته. وشاعت هذه الحادثة بين الناس، فراحت الصحافة تهاجم دود وتوجه اليه اقسى الطعن. واستغل الحادثةاحد اصحاب المسارح، فاتخذ منها موضوعا لطرفة مسرحية ظفرت بنجاح عظيم!

ووجد دود نفسه منبوذا في انكلترا كلها، وهاج عليه الدائنون، فما كان منه الا أن ارتحل الى القارة الاوربية. وهنا طلق سيرة رجال الدين، واندفع في الاسراف والابتذال. وبعد حين، رجع الى انكلترا مفلسا؛ فاضطر الى ان يبيع كنيسته الخاصة لوفاء ديونه الحالّة.

وفي الرابع من شباط اتصل بسمسار يدعى روبرتسن، فأخبره بأنه قد طلب اليه ان يدبّر قرضا لأحد النبلاء لقاء سند. وقدم له سندا بمبلغ ٤٢٠٠ باون، خلوا من التاريخ والتوقيع، واشترط عليه الا يكون الدائن حاضرا عند توقيع السند. وعرض السمسار هذه الصفقة على عدة جهات مالية فرفضتها، لما يحيط بها من غموض وسرية. ولكنه واصل سعيه حتى اقنع السادة فلجر وبيج بتقديم القرض. عندئذ قدم له دود سندا يزعم أنه موقع من قبل اللورد جستر فيلد؛ ووقع عليه هو كشاهد؛ وكان لابد من شاهد اخر، ليصبح السند قانونيا، فوقع عليه السمسار ايضا. ثم تسلم دود المبلغ، واعطى السمسار عمولة قدرها مائة باون.

واودع السادة فلجر وبيج السند لدى محاميهم فداخلته الريبة في صحته. فعرضه على اللورد جسترفيلد فانكر علمه بالسند اطلاقا. فراجع المحامي القضاء وصدر امر بالقبض على كل من دود وروبرتسن. وحين اقبلت الشرطة بصحبة وكيل اللورد صعق دود؛ فعرض في الحال اجراء اية تسوية تطلب اليه. فطلب وكيل اللورد اعادة المبلغ الى اصحابه فاستجاب دود لذلك. اما روبرتسن فقد تنازل عن عمولته.

وكان «دود» يتوقع من وراء ذلك كله ان يسترد السند المزور. ولكن السلطات اصـرت على اتخـاذ الاجـراءات القـانـونيـة بحقـه؛ واقتيد الى الموقف مشيا في الشوارع والمارة يعرضون به ويسخرون منه؛ اذ كان اول رجل دين يساق امامهم من اجل جريمة عقوبتها الاعدام.

بدات محاكمته في التاسع عشر من شباط ١٧٧٧. وقد وجهت التهمة اليه وحده. اما شريكه فقد اقنع المحققين بانه لم يكن سوى غر مخدوع، فجعلوه شاهدا للاتهام. وكان رد دود على التهمة هو انها قد حررت استنادا الى شهادة شريـك له فيهـا؛ وركـز الـدفـاع حملته على هذه النقطة محاولا هدم التهمة من اساسها؛ ولكن المحكمة قررت بعد جدال طويل مواصلة النظر في القضية. فاجاب دود على التهمة بانه غير مجرم؟ فاستمعت المحكمة الى شهادة اللورد جسترفيلد واخرين ثم طلبت الى المتهم ان يقدم دفاعه. وكان اهم ما فيه انه لم يقصد الى الاختلاس؛ وان التهمة قد وجهت اليه بعد ان سوي الموضوع مع وكيل اللورد، وبعد ان وعد هذا بعدم اتخاذ اي اجراء ضده؛ وختم دفاعه بقوله: «اذا كان استعراض الوقائع بشكل محايد، يظهر عدم وجود نية الاضرار بالغير، وعدم وقوع الضرر بالفعل، فاني اضع نفسي بكل ثقة وامل، رهن ما في بلدي من شفقة وانسانية وحماية.»

وقرر المحلفون ان المتهم مجرم مع الايصاء بملاحظة ظروف الرافة. ثم اجلت المحكمـة للنطق بالحكم ريثمـا يرد جواب الاستفتـاء حول قبـول شهـادة روبرتسن من الجهة المختصة.

ولبث دود في الموقف مدة ليست بالقصيرة. وفي اثناء ذلك وضع كتابه الذي نشر فيما بعد، «افكار في السجن»، وكان يقوم بالطقوس الدينية لرفاقه في السجن.

وصدرت الفتوى بان محاكمته وادانته قد جرتا وفق القانون. فمثل دود امام المحكمة للمرة الاخيرة. فسئل اذا كان لديه ما يقوله قبل النطق بالحكم، فالقى استعطافا بليغا مؤثرا اعده له الدكتور جونسون الاديب واللغوي المعروف. ولكن لم يكن للمحكمة خيار للتصرف بالعقوبة؛ لان هذه قد تحددت بالوقائع وقرار

الادانة ، وعلى ذلك صدر عليه الحكم بالاعدام .

وكان رد الفعل شديدا لمصلحة المحكوم . وبذلت الجهود لتخفيفه او تاجيله . وقد ساد الشعور بان دود قد ظلم مرتين : ظلم حين احيل الى القضاء بعد ان وعد بعدم احالته ، وظلم حين تقدم اللورد جسترفيلد للشهادة ضده . ولكن من الانصاف ان نقول ان الاخير كان مرغما على اداء الشهادة بموجب القانون .

وراحت المقالات والرسائل تملا الصحف مطالبة بتاجيل التنفيذ . وقدم ثلاثون الف شخص عريضة بهذا المآل . وجعل اخرون من ذوي النفوذ ومن بينهم الدكتور جونسون يسعون لدى السلطات القضائية العليا ولدى الملك والملكة لانقاذ هذا البائس . ولكن هذه الجهود قد ذهبت كلها ادراج الرياح . لقد كان الرجل سيء الحظ منذ البدية ؛ وابى سوء الحظ الا ان يلازمه حتى النهاية !

ومن آيات سوء حظه ان الملك كان يستشير «المجلس الخاص» قبل المصادقة على احكام الاعدام . وكان اكثر اعضاء هذا المجلس نفوذا وسطوة ، هو اللورد العجوز مانسفيلد . ومن سوء الصدف ان جرائم التزوير قد تعاقبت في تلك الفترة بشكل سريع ؛ ثم جاء التزوير الجديد من رجل دين لم يرع حرمة لمنصبه ومكانته ، فترك ذلك اسوا الاثر في نفس اللورد . ثم ان الفكرة السائدة يومئذ هي ان القسوة خير رادع للجريمة ؛ وخشي مانسفيلد انه اذا تساهل في هذه القضية فلن يبق له عذر في المستقبل ، اذا هو ايد فرض العقوبة على المزورين الذين هم اقل شانا . وفي الواقع ، لقد كان هذا هو الموقف بالقياس الى المجلس كله وبالقياس الى الملك ايضا ؛ فقد كان هذا يكره الرذيلة والجريمه الى حد التعصب ؛ ثم ان دود قد اثار نقمته بسيرته التي اساءت الى سمعة رجال الدين بصورة عامة والى سمعة قساوسته نفسه بصورة خاصة . وهكذا انضم الى جانب مانسفيلد في ضرورة تصديق حكم الاعدام .

ارايت كيف سدت السبل ، واغلقت الابواب ، في وجه هذا المسكين ، فضلا عن قسوة العقوبة في مثل هذه الجريمة ؟ !

وحدد السابع والعشرون من حزيران ١٧٧٧ موعدا للتنفيذ. وفي اليوم السابق له ودع دود زوجته الوداع الاخير؛ ثم راح ينفق الساعات الباقية في الاستعداد لاستقبال النهاية. ولم يكن الموت ليفزعه ولكن آلمه ما صار اليه من الذل والخزي، فغرق في أمواج التوبة والندم.

وفي يوم التنفيذ، استقل العربة شاحبا ضعيفا تائه في سكرة الموت؛ فراحت تقطع به الشوارع التي طالما قطعها في ابهة ووقار، في الايام الخالية!

ولم يعش والداه ليريا هذه النهاية. اما زوجته فقد عاشت بعده عشر سنوات، تصاحب العذاب والشقاء، وتزامل الفقر والجنون، حتى فارقت هذه الدنيا، دون ان تخلف ولدا لزوجها.

رجل التنكر



رجل التنكر

في غرفة الرعب بمتحف الشمع بلندن ، تمثال يطلق عليه الجمهور لقب كبير المجرمين. وقد ظل هذا التمثال لمدة من الزمن موضع اهتمام الزوار . وسبب ذلك ما اتصف به صاحبه من صفات غريبة؛ وما لابس تصرفاته من مفارقات عجيبة. فمن ذلك رباطة جأشه وقوة اعصابه حتى انه قد حكم على شخص اخر بالاعدام لجريمة ارتكبها هو وكان حاضرا وقت الحكم فظل هادئا صامتا كابي الهول!! ومن ذلك قدرته العجيبة على التنكر: فانه ليستطيع ان يمر امام مطارديه وفي لحظة واحدة يمط فكه ويبعث الدم في وجهه حتى يصبح شخصا اخر ! وقد بلغ من اعتداده بهذه القدرة ان ذهب الى مقر سكوتلانديارد، فاطلع بنفسه على الاوصاف التي وزعت من هناك للقبض عليه! ومن ذلك، انه كان يجمع بين الفن والنذالة في وقت واحد؛ فهو يتقن الغناء ويعشق الموسيقى ؛ واذا سطا على منزل كانت الآلات المسيقية اول سلبه!

اسمه جالرس بيس، وقد ولد في شيفيلد سنة ١٨٣٢ . وكان ابوه مروّضاً للوحوش، ولكنه عجز عن ترويض ابنه، وان كان هذا قد ورث عن ابيه حب الموسيقى والحيوان. وفي ابان حداثته، اشتغل عاملا في احدى الطواحين؛ فوقع له حادث الحق عطلا برجله ويده اليسرى، وكان له تأثيره السيء في نفسيته. وكان من المتوقع ان يفضح مثل هذا العطل شخصيته؛ بيد انه استطاع ان يخفيه تماما ـ ترك يده المعطلة تتدّلى تحت سترته، واودع في مكانها اخرى صناعية تتدلى في ردنه!

وقد حوكم هذا الرجل الغريب ثلاث مرات، نستعرضها حسب تسلسلها الزمني:

اما الاولى، فقد جرت في مانجستر سنة ١٨٧٦ ، لجريمة ارتكبها هو، وحوكم، عليها، خطأ، الاخوان جون ووليم هبرون. وهما فتيان من اصل ايرلندي، كانا يعملان في مشتل، ويقيمان في جناح قريب من منزل رب العمل. وفي ذات ليلة، كان الشرطي كوك يقوم مع شرطي آخر بجولته المعتادة،

فرأيا رجلا يتسكع بشكل مريب، لدى احد المنازل. وتبع كوك الرجل الى الساحة المحيطة بالمنزل، فتسلق الاخير جدارا، ثم قفز منه الى الارض، فما راعه الا ان وجد نفسه ازاء كوك. ودوت طلقتان سقط على اثرها الشرطي، وولي الرجل هاربا؛ وبعد ساعة فارق كوك الحياة.

وحامت الشبهة حول الاخوين هبرون؛ اذسبق ان هددا الشرطي القتيل، بعد اطلاق سراحهما، من تهمة السكر والعربدة. ولدى فحص مسرح الجريمة، عثر الخبراء على اثر في الطين مطابق لحذاء الاخ الاكبر وليم، ووجدوا الحذاء المذكور ملطخا بطين ندي. وشهد الشهود بان وليم حاول شراء رصاص من احد الحدادين، عصر اليوم الذي وقعت فيه الجريمة. كما ان الشرطي الذي كان يصاحب كوك، شهد بأن رجلا يظن انه وليم هبرون قد مرّ به قبيل اطلاق النار.

وراح الدفاع يفند هذه الادلة: قال ان المتهمين لم يهددا كوك بالقتل، بل زعما انهما سوف يبتعدان عن طريقه.وان سبب تلطخ الحذاءبالطين يرجع الى حالة الجو في فترة الجريمة؛ هذا فضلا عن ان تلك الحالة، نفسها لا تسمح بأن يكون الاثر الذي وجد في الطين من الوضوح والدقة اللازمين لاجراء المطابقة. اما محاولة شراء الرصاص، فان الشهود لم يكونوا متيقنين من شخصية المشتري؛ وقد شهد اخرون بانهم قد رأوا المتهمين يعملان في المشتل، في الوقت الذي زعم ان وليم كان فيه يشتري الرصاص. هذا فضلا عن انه لم يعثر لدى المتهمين على سلاح، كما لم يعثر عليه في مسرح الجريمة.

ومع ذلك، ادان المحلفون وليم هبرون، وان اوصوا باستعمال الرأفة بحقه، بالنظر لصغر سنه. أما اخوه فقد برأوا ساحته. وعلى ذلك، صدر الحكم على وليم بالاعدام؛ وكان جارلس بيس حاضرا يتفرج!

وساد الشعور بان الادلة لم تكن كافية للادانة. فوقع عدد كبير من ابناء المنطقة طلبا لتخفيف الحكم؛ فقررت وزارة الداخلية ابداله بالسجن مدى الحياة. وكان ذلك معجزة انقذت حياة بريء من خطأ قضائي فظيع! فبعد حوالي السنتين من صدور هذا الحكم، كان جارلس بيس في سجن ليدز، ينتظر

تنفيذ حكم بالاعدام صدر عليه. فاستدعي احد رجال الدين، فاعترف له بأنه هو الذي اطلق النار على كوك؛ ثم صممّ على ان يحضر محاكمة الفتى الذي أدين بدلا منه!! واستطرد يقول: «قدير مني البعض بأني رجل حقير، غليظ القلب، اذ تركت بريئا يحكم عليه بالموت من اجل وزري! ولكن من ذا الذي كان لا يتصرف تصرفي، وهو في مثل موقفي؟... اما الان، وانا موشك على الموت، فلا فائدة من الكتمان؛ وأرى حقا علي امام الله والناس، ان اعلن براءة هذا الشاب من جريمتي.»

وقد اثار هذا الاعتراف ضجة كبرى في مختلف الاوساط. وبعد ان تأكدت وزارة الداخلية من صحته، استصدرت عفوا عن وليم هبرون، ودفعت اليه تعويضا قدره ثمانمائه باون.

وبعد يوم واحد من الحكم على ذلك الشاب البريء، ارتكب جارلس بيس جريمته الثانية. ففي التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٨٧٦، اطلق النار على المهندس ارثر دايسن، المستخدم في السكة الحديد، فأرداه قتيلا. وقد ظهر من التحقيق ان بيس كان جارا للقتيل في ضاحية دارنل شيفيلد؛ وأنه ظل فترة من الزمن يزعجه ويزعج زوجته بطلب القروض، حتى ضاقا به، ومنعاه من دخول منزلهما. وراح بيس يطلق التهديدات ضدهما، فرفعا الشكوى؛ ولكنه اختفى من المنطقة دون اي اثر. وخاف ال دايسن من شره، فانتقلا الى بتركروس. ولكن بيس اكتشف مكانهما الجديد، فقتل دايسن ولاذ بالفرار!

وأنفقت الشرطة سنتين في البحث عنه؛ وخصصت جائزة قدرها مائة باون لمن يدل عليه؛ ولكن بدون جدوى. وفي اثناء ذلك، ارتحلت السيدة دايسن الى الولايات المتحدة؛ وبدا كأن الجريمة راحت هدرا!

ثم وقعت حوادث غريبة: ففي عامي ١٨٧٧ و ١٨٧٨ كان يقيم في ضاحية من ضواحي لندن، شيخ زنجي الملامح اسمه تومسن. كان تحيط به مظاهر الفن والوجاهة؛ وكانت زوجته شابة حسناء مدمنة للخمر. وقد عرف تومسن هذا بنزعته الدينية، وحبه للحيوانات. وقد اخترع مع جار له جهازا لانتشال السفن الغارقة. وعرض الرجلان هذا الجهاز على الاميرالية البريطانية، فطلبا اذنها باخراج

سفينتين كانتا قد غرقتا، فرفضت طلبهما. فتوجها بعرضهما الى الحكومة الالمانية، فرفض ايضا. والى جانب ذلك، لوحظ ان تومسن يملك مجموعة كبيرة من الالات الموسيقية، ويجد متعة فائقة في اظهار مهارته في العزف عليها، امام قليل من اصدقائه المقربين.

وفي ذات امسية، كان تومسن يعزف على الكمان، بينما راح الاخرون يغنون، ويصاحبونه على الهارمونيكا. فلما تقدم الليل، تسلل تومسن من بين اسرته الى الخارج؛ وشرع يقتحم منزلا في منطقة بلاكهيت. ورأى شرطيان نورا يتحرك في المنزل المذكور، في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فأثار شكوكهما. فاستدعيا شرطيا ثالثا، وراحوا يرقبون المكان. وبعد فترة قصيرة، خرج رجل من المنزل، فانطلق في الحديقة. ولكنه ماكاد يتقدم قليلا، حتى انقض عليه الشرطي روبنسن، فبادره الرجل بطلقتين فأخطأناه؛ ولكن الشرطي لم يترك هجومه، فدوت ثلاث طلقات اخرى، استقرت احداها في رأس روبنس، واخرى في ذراعه. واسرع الشرطيان الاخران فأطبقا على الرجل، واقتاداه الى مركز الشرطة.

وهناك زعم ان اسمه جون وورد. ولدى التفتيش وجدت معه ادوات لاقتحام المنازل، ومدية سبق ان سرقت من مكان في المنطقة نفسها. وفي اثناء فترة حجزه انتظارا للمحاكمة، بعث برسالة الى جاره المخترع باسمه المستعار، يرجوه فيها ان يزور انسانا تعسا، دفع به السكر الى وضع مؤسف فلما زاره صعق اذ وجد ان صاحب الرسالة هو جاره، وصديقه الذي اختفى منذ حين. فأخبر الشرطة بهذه الحقيقة. فانطلق بعضهم يتحرى منزله، فتبين ان خادمته وابنها قد هربا ببعض السلب؛ واقرت لهم السيدة تومسن بان طريدتهم، اي زوجها المزعوم، انما هو جارلس بيس، المطلوب من اجل جريمة بنركروس!!..

وجماع القول، ان عائلة تومسن هذه، لم تكن سوى فرقة تمثيلية! فجارلس بيس كان يقوم بدور السيد تومسن؛ اما زوجته الحقيقية فهي التي كانت تقوم بدور الخادمة وورد؛ واما ابنها ويلي فهو ربيب لزوجها!

ومثل جون وورد (جارلس بيس) امام المحكمة، من اجل جريمته في بلاكهيت، فراح يلعب دور الشيخ التعس الذي جارت عليه الاقدار، وانشا يتكلم

ويبكي في وقت واحد، زاعما انه لم يكن يعلم ان المسدس محشو، وانه كان قصد اخافة الشرطي فقط، وان الطلقات التي اصابت الاخير، قد انطلقت عفوا اثناء النزاع. ثم اعلن التوبة، والندامة! ولكن هذا كله كان بلا فائدة؛ فقد حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة.

وحين كان ينقل بالقطار الى شيفيلد، لحضور اجلسة تالية؛، قفز من النافذة كلمح البصر، والقطار يجري بسرعة خمسين ميلا في الساعة. ولكن احد حارسيه امسكه من حذائه، في حين ارسل الاخر اشارة الخطر. واستطاع بيس ان يفلت من الحارس، فهوى على رأسه فوق الثلوج. ولما وقف القطار، كان هو مغشيا عليه، والدم ينزف منه؛ واذ وجد انه لا يستطيع حضور المحاكمة، فقد اودع في سجن ويكفيلد الى حين.

وفي الرابع من شباط ١٨٧٩ بدأت محاكمته بتهمة قتل ارثر دايسن؛ فسرد الادعاء العام كيفية قتله. وكان من بين ماذكره، ان الزوجين حين انتقلا الى منزل اخر في بنر كروس، حسبا انهما قد اصبحا بمنجاة من شر ذلك الجار المتطفل ولكن ماكان اشد دهشتهما، حين كانا يدخلان هذا المنزل الجديد، ان يريا بيس يمرق منه خارجا وهو يتهدد ويتوعد! وبعد شهر على ذلك جعل بيس يسعى بين جيرانهما، حاملا رزمة رسائل وتصاوير، فيحدثهم عن شؤون الزوجين الخاصة، وينسب اليهما الفضائح! وظل يتسكع حول منزلهما على هذا المنوال، حتى خرجت السيدة دايسن، ذات مرة، الى الساحة المجاورة للمنزل، فتبعها وشهر عليها مسدسه، فصرخت، فأقبل زوجها من داخل المنزل، فما كان من بيس الا ان بادره باطلاق النار عليه، ثم تسلق جدارا و لاذ بالفرار.

وكانت زوجة القتيل اهم شاهد للاثبات. فراح الدفاع يستجوبها ليثبت ان زوجها الطويل، القوي، هو الذي هاجم بيس مدفوعا بفرط «الغيرة»، وان الرصاص الذي اصابه انما انطلق عرضا اثناء العراك. ولكنه لم يفلح في اثبات ذلك. بيد ان اشارة الدفاع الى «الغيرة» كانت في محله. فلقد ظهر من سير المحاكمة ان العلاقة بين زوجة دايسن والمتهم، كانت اقوى مما عرف. فلقد اصطحبها هذا، ذات مرة، في زيارة لشيفيلد، و التقط معها صورا، واخذها الى احدى الخمارات، واهدى اليها خاتما، كما ابرز رسائل زعم انها قد ارسلتها

اليه. ويظهر من فحوى هذه الرسائل، انهما كانا عاشقين يلتقيان في غرفة بسطح دار خالية، تقع بين منزليهما في دارنل. وقد اعترفت السيدة دايسن باهداء الخاتم؛ اما الرسائل فقد اقسمت انها لاتعود اليها.

وادانه المحلفون، فصدر عليه حكم الاعدام.

وفي الفترة التي سبقت التنفيذ، اعترف بيس ـ كما ذكرنا ـ باطلاقه النار على الشرطي كوك. وقال بصدد مقتل دايسن انه كان واقفا فوق جدار خلف المنزل، يراقب السيدة دايسن وهي تودع طفلها الفراش. فصفر لها ـ وهي الاشارة المألوفة بينها ـ فأقبلت عليه. فطلب اليها ان تسعى لدى زوجها في سحب الشكوى التي اودعها ضده. فرفضت ذلك؛ وراحت توجه اليه الكلام البذيء القارص؛ فهاج غضبه، ونشب بينهما نزاع سمعه دايسن. فأقبل هذا على الفور وهجم عليه، فما كان منه الا ان اطلق مسدسه في الهواء لاخافته؛ ولكن الرجل واصل هجومه، فاطلق عليه النار ثانية بقصد تعجيزه فقط، ولكن الطلقة اصابت مقتلا.

وكان بيس، في فترة انتظار التنفيذ، يتظاهر بالتقوى و الصلاح. وبعث الرسائل الى افراد اسرته، يعلن فيها توبته؛ وارفق بها صلوات خاصة قام ينظمها. وقد طلب في بطاقة ارسلها الى زوجته ان تضع على قبره هذه العبارة: «لقد فعلت مافعلت دون ان اقصد اليه.»

وفي طريقه الى المشنقة، قال لمراسلي الصحف انه يأمل منهم ان يرأفوا بزوجته وولده، وان لا يوجهوا اليهم لوما، اوسخرية، بسبب ما اقترفه هو؛ فان هؤلاء يستحقون منهم كل رحمة وشفقة.

بيت العبادة



بيت العبادة

في يوم من شهر ايلول شخص الى مكتب رئيس الشرطة بميامي فلاح اقبل على جواده مسرعا وراح يقول متلعثما: بن . . . هناك فوق التلال فتاة مقتولة . . . لقد رايتها بعيني . . . انها مخلوقة صغيرة مسكينة . . . ولست ادري كم مضى عليها وهي في ذلك المكان.

ومضى رئيس الشرطة الى المكان. كان وجه الضحية مثيرا للاسى فلقد عبث به المـوت والطقس حتى صار لا يعـرف. ثم هطلت امطـار الخـريف الغـزيـرة فمحت كل اثر للقاتل. وقد ظهر من الفحص الطبي ان الجريمة قد وقعت قبل اسبوعين من اكتشافها على الاقل.

ومرت ايام والجثة معروضة في قاعة الجثث بميامي ولكن لم يعرفها احد من الـذين راوهـا . كمـا ان الشـرطـة لم تجـد في سجـلات المقاطعة والمقاطعات المجاورة فتاة مفقودة. وعلى ذلك ساد الاعتقاد بان هذه الجريمة ستظل سرا من الاسرار.

وفي وسـط هذه الظلمـة القـاتمـة توجـه ذهن رئيس الشـرطة الى ذلك البيت الغامض القائم في بطن الجبل. كان قد راه من قبل فهو اكبر البيوت في تلك المنطقة يؤدي اليه طريق مفروش بنبت كثيف وتحيط به اشجار عالية تحجبه عن الانظار وتزمجر حين تعبث بها العواصف. وكانت نوافذه المقوسة مرتفعة معتمة مقفلة في وجه الشمس دائما. ويقال ان ابوابه توصد باحكام فلا يؤذن لاحد ليل نهار! وكان سكان المنطقة يذكرونه في خوف وتشاؤم ولا يعرفون من امره سوى انه مقر للتبشير!

وكان راعيه رجلا صغير الجسم يقال له الدكتور الن هيبر. وكان يحث الناس على التبرع بترديد عبارات من الكتاب المقدس فيملا هؤلاء مخازنه خلف البيت بانواع الغلة. ويليه في الاشراف على البيت السيدة كورا ونتورث وتحل محله اذا غاب . ثم هناك القس جيمس كابت.

اقبـل رئيس الشـرطـة على هذا البيت فسـال السيـدة ونتورث بعد ان اخبرها بحادث القتيلة اذا كانت تفقد احدى الفتيات اللواتي يقمن معها فنفت ذلك. ثم

سالته عن اوصاف الفتاة فاخبرها بانها في حوالي العشرين متوسطة الطول نحيفة ذات شعر غزير رائع فاكدت له انها لا تعرف فتاة في مثل هذه الاوصاف. ولكن الرجل اصطحب الثلاثة ليطلعوا على الجثة في ميامي فانكروا معرفتهم للضحية.

بيد ان هاجسا هجس في نفس رئيس الشرطة جعله يلازم ذلك البيت ويواصل البحث عنده. وانتقل الى المزرعة الكائنة خلفه وكان يديرها ثلاثة رجال هم: اموس سمث، وهو امين للصندوق ايضا، وجم بايرز، وسام كربي. وقال له الاخير: ان علينا ان لا نتكلم! فلماذا لا تقابل السيدة كيرنس؟ لقد كانت هي المشرفة على البيت من قبل ثم تركت العمل على اثر نزاع عنيف وقع منذ اسبوع تقريبا.

ومن السيدة كيرنس هذه سمع الرجل اقوالا غريبة جعلته يؤمن بان هذا البيت ليس جنة عدن يعبد فيها الله! قالت انها لا علم لها بفتيات فقدن من البيت ولكنها ما زالت تستغرب كيف اختفت صديقة لابن عمها تدعى اينا. لقد اختفت تلك الفتاة بعد اسبوع من اقامتها هناك ولو انها قد غادرت نهائيا بمحض ارادتها لاخبرتها بذلك فاختفاؤها بهذه الصورة دليل على انها اخذت الى مكان مجهول. ولقد علمت فيما بعد انها وفتاة اخرى تدعى دولي سليد قد خرجتا مع جم كاربت ولم تعودا. واضافت ان كاربت هذا كان يصطحب الفتيات حين يخرجن لعمل وانه في رايها رجل مشبوه لا يمت الى الدين بصلة! فسالها هل وقع ان تركت احدى الفتيات البيت بمفردها؟ فقالت: لقد فعلت ذلك فتاة تدعى جوزي بايرز وهو امر غير اعتيادي ولم يحدث من قبل. لذلك انتابها القلق عليها لاسيما وانها راتها تبكي قبيل ذهابها. واضافت انها تعجب كيف غادرت دون ان تودعها بعد ان توطدت اواصر المودة بينهما. وقد وصفتها بانها كانت فاتنة ذات شعر طويل جميل وعلمت ان منزلها في فايتفيل.

فاصطحبها الى قاعة الجثث في ميامي. فما كادت تلقي نظرة على جثة الفتاة حتى صاحت: هذه جوزي بايرز . . . اقسم على ذلك . . . اني اعرفها من شعرها. واسالوا فاي جيرك المشرفة الحالية فانها امراة صادقة. وايدت هذه بالفعل ان القتيلة هي جوزي بايرز.

ولكن الدكتور هيبر ظل مصرا على ان الجثة مجهولة بالقياس اليه. وضاقت السيدة كيرنس بهذا الانكار فافضت بالمزيد من التفاصيل: قالت ان الدكتور هيبر وصاحبته كورا ونتورث يظهران الرقة والدماثة ولكنها شكت في طيبتها منذ ان عثرت على ملابس جوزي بايرز مخباة في المخزن! ثم خاطبت رئيس الشرطة: ان هذا البيت مريب يا سيد توتن، ويسرني اني لم اعد من اهله!

وسلط على الدكتور هيبر استجواب طويل دقيق؛ فاعترف بانه كانت لديه فتاة اسمها جوزي بايرز ولكنها عادت الى اهلها في فايتفيل. وذهب نائب رئيس الشرطة الى تلك المدينة ثم عاد ليقول ان الفتاة لم تعد الى اهلها. وقد علم من هؤلاء ان الاصبع الصغير ليد الفتاة اليسرى كان قد انكسر في طفولتها وحصل كذلك على مخطط لاسنانها من طبيب الاسرة. ومن هذين الدليلين تاكد بشكل جازم ان القتيلة هي جوزي بايرز.

هنالك اصطحب السيد توتن نائبه فمضيا مصعدين في طرق الجبال الملتوية نحو بيت العبادة. طرقا الباب فلم يجب احد ودفعاه فانفتح. ثم دخلا الساحة الرئيسة فلفهما صمت عميق كصمت القبور! فراحا يدوران حول البيت بحثا عن اهله فوجدا في الخلف اموس سمث وجم بايرز يقطعان الاخشاب. ولدى الاستفسار قال اموس ان نزلاء البيت قد انصرفوا منذ الصباح الباكر دون ان يعلم احد وجهتهم ولكنه اكد ان الدكتور هيبر سوف يعود. وذكر لرئيس الشرطة ان سجلاته تشير الى وجود عشرة الاف دولار في الصندوق. وبعد البحث عن هذا المبلغ وجد انه قد اختفى مع المبشر النبيل! وحين علمت السيدة كيرنس بهذه التفاصيل تنبهت الى امرين لم تعرهما في حينه كبير اهتمام: اما الاول فهو ان كورا ونتورث هددتها مرة باطلاق النار عليها مما يدل على وجود اسلحة نارية في البيت. واما الثاني فهو ان جيم كاربت حين عاد من رحلته التي اصطحب فيها كلا من دولي سليد واينا لاكي كان يحمل صرة عليها اسم مخزن في سانت لويس.

نحن الآن في هذه المدينة ـ مدينة الثراء والمرح والاثم. وقد ارخى الليل سدوله فاستسلم الناس للرقاد حاشا بؤر اللهو والرذيلة. وفي الشوارع المؤدية الى

هذه البؤر كانت المصابيح تصب انوارها الذهبية على الارصفة فتنير السبيل لخطى متعثرة تمضي قدما نحو الخراب. والى احدى هذه البؤر دلف رجل غريب على راسه قبعة عريضة الحافة فكانه من رعاة البقر.

وقف في وسط الصالة ودار ببصره حواليه ثم اخرج حزمة من النقود راح يلوح بها وهويقول بصوت جهير: اني من اوكلاهوما . . . واريد ان اجالس فتاة من بلدي . فاستدار الجالسون نحوه ببطء فقالوا لانفسهم ان هو الا رجل من اصحاب المواشي يبرح ارضه لاول مرة سعيا وراء اللذة والمتعة!

جلس الغريب فامر بشراب. فلم يلبث ان اقبلت عليه فتاة تقول بصوت ضئيل محطم: اني من اوكلاهوما. . . تامل وجهها فاشرقت في وجهه امارات المعرفة . فهمس: اجلسي واشربي وكوني على حذر فانهم يراقبوننا.

وفي ضوء المصباح راى وجهها بوضوح. انها لا تتجاوز الثامنة عشرة وعلى الرغم من افراطها في وضع المساحيق فقد بدت في وجهها ندبات تنم عن تعرضها للايذاء والعنف. وكانت ترتعش.

قال الغريب: دولي سليد . . . لقد جئت لانقاذك!

قالت وهي تلهث من الخوف: كلا . . . كلا . . . ارجوك!

وهمس باسم فتاة اخرى فهزت راسها علامة على انها تعرفها، ثم انفجرت الدموع من مآقيها.

قال محذرا: واصلي شربك وابتسامك واخبريني بما تعرفين دون ان تنظري الي.

قالت: لقد قادنا انا واينا لاكي الى مكان نجهله وتركنا عند رجل لا نعرفه وكان هذا فظا غليظ القلب ؛ وقد انهال علي مرة بالضرب حتى كسر اسناني وفقدت الوعي. وحين ثبت الى رشدي لم اجد اينا معي ؛ ولم يقع عليها نظري منذ ذلك اليوم . وقد هددني بالقتل ان اخبرت احدا بشيء.

قال الغريب: لا تخافي من احد . . . سوف اعود اليك بعد حين!

ولم يكن هذا الغريب سوى بن توتن رئيس شرطة ميامي ونبأ الصرة التي تحمل اسم سانت لويس هو الذي جاء به الى هذه المدينة.

واخبر توتن رجال الامن في سانت لويس بما راى وبما علم في الليلة الاولى من وصوله. فلما كانت الليلة التالية اجتاح هؤلاء بؤر الفساد في غارات منتظمة متوالية فتبين ان كثيرا من الفتيات اللواتي قبض عليهن قد جلبن من ذلك البيت الرهيب القائم في جبال الاوزاك! وكان بينهن الفتاة الاخرى اينا لاكي. وهذا كشف النقاب عن حلقة خفية من حلقات الاتجار بالرقيق الابيض مقرها الاصلي ذلك البيت الغامض.

ولكن بقي هناك لغز القتيلة وهذا لا يمكن حله حتى يعثر على الدكتور هيبر واعوانه ... فاين هم الان؟ لقد كان بوسع هؤلاء ان يفلتوا الى الابد لولا ان الصدفة المحضة قد لعبت دورا من ادوارها النادرة!

ففي عصر يوم جميل من ايام الربيع التالي كان مصور متجول يلتقط الصور على شاطىء سانتا مونيكا في كاليفورنيا. والتقط صورتين لشخصين جالسين هناك؛ ففقد احدهما صوابه وهجم على المصور مهددا اياه بانه سيحطم آلته اذا لم يدفع اليه الصورة التي التقطها. فدفع اليه المصور اصل احدى الصورتين وابقى الاخرى لديه. وكان من الطبيعي ان يخامره الشك من ناحية هذا الرجل فانطلق بالصورة الاخرى الى الشرطة وقص عليهما ما حدث. وكان التفتيش جاريا في الولايات المتحدة عن «المبشرين» الهاربين. فسرعان ما عرفت الشرطة صاحبي الصورة فركزت حملاتها في البقعة التي التقطت فيها. وبعد فترة وجيزة القي القبض عليهما فاقتيدا الى سجن لوس انجلس.

وعاد بهما توتن الى جبال الاوزارك ليواصل التحقيق. ولم يشا بادىء الراي ان يجابههما بتهمة القتل بل آثر ان يتدرج بهما الى الاعتراف بالجرائم الاخرى اولا. وواجههما مع الشاهدتين دولي سليد واينا لاكي فانهار الدكتور هيبر فاعترف بالمتاجرة بالرقيق الابيض وان كاربت كان شريكه وانهما كانا يتقاضيان مائتين وخمسين دولارا مع نفقات اخرى عن كل فتاة تسلم الى بؤر الرذيلة. اما عن مصير جوزي بايرز فقد ظل صامتا كابي الهول.

وضيق الخناق على شريكه كاربت فاعلن انه بريء من قتل الفتاة واثبت وجوده في مكان اخر حين قتلت. وفي هذا الوقت عثر المحافظ على المسدس المخبا تحت خشب الارضية، في الطابق العلوي من البيت كما ان السيدة ونتورث قد انهارت حالتها الصحية في احد المصحات فاعلنت انها مستعدة للاعتراف.

قالت: لقد فتنت جوزي بايرز بالدكتور هيبر وراحت تحمله على الزواج منها وتهدده بافشاء سره اذا هو لم يفعل. فايقظني عند منتصف الليل واخبرني بانه عازم على التخلص منها. ثم خرج معها وعاد بمفرده في الساعة الخامسة صباحا. فاخبرني بانه قد اطلق عليها النار من مسدسي ثم سالني ماذا يفعل به؟ فرفعت خشبة من الارضية في الطابق العلوي واخفيته هناك ثم اخفينا ثيابها كذلك. وفي الصباح اشعنا انها عادت الى بيتها.

وكان هذا الاعتراف صدمة جديدة للدكتور هيبر حطمت البقية الباقية من اصراره على الانكار. بيد انه ذكر للجريمة رواية اخرى؛ قال وهو يتنهد: ان السيدة ونتورث لم تقل كل الحقيقة ... اجل اجل، لقد احببت جوزي، بل اردت ان اتزوجها؛ ولكن الغيرة قد استولت على السيدة ونتورث وكان علي لها سلطان فامرتني بقتل الفتاة فلم يكن لدي مفر من ذلك!

وبعد ساعة من اعتراف الدكتور هيبر هذا تناول سما فمات. ولا يدري احد كيف وصل اليه السم. وبعد قليل تبعته كورا ونتورث الى العالم الاخر! وحتى الان لا يعرف احد اين تكمن الحقيقة بين روايتيهما وهكذا يظل في صدريهما سر جريمة بيت العبادة الى الابد!

الدراجة الخضراء

الدراجة الخضراء

بيلا رايت فتاة في الحادية والعشرين بارعة الجمال طيبة الخلق خطيبة لشاب يعمل في الاسطول. وهي تعيش مع والديها في بقعة صغيرة تدعى ستاوكتن على بعد ميلين تقريبا من مدينة ليسستر حيث كانت تعمل في مصنع للمطاط. وريف هذه المدينة تعمره القرى التي تصل بينها طرق قديمة من الطراز الروماني او دروب تحف بها اسيجة عالية كلها ساحرة المنظر قليلة المرور لم تهيا لوسائط النقل الحديثة. والى شمالبها يقع مركز الصيد الشهير «ملتن موبريه».

وكانت الفتاة تسعى بين المنزل والمصنع على دراجتها. وفي امسيات الصيف تتنقل بها من قرية الى قرية اداء لبعض المهام او زيارة لاحد الاصدقاء. وكان عمها السيد مجرز يسكن في قرية كولبي على بعد ثلاثة اميال من منزلها.

وفي مساء يوم جمعة من تموز انصرفت من عملها في الساعة الحادية عشرة ليلا اذ كانت نوبتها الاخيرة ثم اوت الى فراشها. وكان السبت يوم عطلة فاستسلمت الى الرقاد حتى الساعة الرابعة بعد الظهر. ثم نهضت فكتبت بعض الرسائل فانطلقت بالدراجة نحو ايفنكتن لتودعها صندوق البريد.

وعادت الى البيت ثم خرجت ثانية على دراجتها في السادسة والنصف في الاتجاه المعاكس لمدينة ليسستر. وكانت والدتها قد راتها وهي تخرج اول مرة ثم لم تقع عليها عيناها حية من بعد ذلك.

وفي التاسعة والثلث مساء وضوء النهار لما يزل مشعشعا كما هو الحال في تلك المناطق صيفا كان الفلاح كوول يسوق ابقاره في طريق كارتري فبلغ بقعة مقفرة تماما تحف بها اسيجة نباتية يربو ارتفاعها على الثماني اقدام وتبغد ميلين عن قرية كولبي. وفي هذه البقعة وجد بيلا رايت جثة هامدة في الطريق! كان وجهها ملطخا بالدم ودراجتها منطرحة الى جانبها والعجلة متجهة الى ستاوتن - اي نحو منزلها.

وظن الفلاح ان موت الفتاة من قبيل القضاء والقدر فحملها الى جانب الطريق. وكانت الجثة ما تزال دافئة امارة على ان الوفاة قد حدثت منذ وقت

قصير.

ووصل الطبيب والمحقق بعد ان اطبق الظلام. وكان انطباع الطبيب بعد فحص سريع ان الفتاة قد سقطت من دراجتها فكسر راسها فوق حجر ففارقت الحياة. وتركت الجثة تلك الليلة في كوخ قريب.

وفي الصباح واصل المحقق تحرياته ففحص الطريق فحصا دقيقا فوجد على بعد سبعة عشر قدما من بقعة الدم التي تركها راس الفتاة طلقة من عيار ٤٥,٠، قد دفن جزء منها في الارض كما لو كانت قد ديست او سير فوقها.

ثم اكتشف ما هو غريب كل الغرابة!

كان في السياج بالقرب من المكان بوابة تؤدي الى مرعى معشوشب . وكان لون هذه البوابة ابيض فوجد على قضيبها الاعلى اثار مخالب ملطخة بالدم واثار اخرى مثلها عددها اثنا عشرة ـ ستة ذاهبة وستة عائدة بين الجثة والبوابة ! وفي المرعى عثر على جثة طير اسود كبير من فصيلة الغراب وقد عب كثيرا من الدم حتى ظن انه قد مات بسبب ذلك!

وانقسم المحققون في امر هذا الطير: قسم يقولون ان لا علاقة له بموت الفتاة وقسم يقولون ان له كل العلاقة ؛ واخيرا أدخلوا كلا الرايين في حسبانهم. ولكنهم راحوا يتساءلون كيف عب الغراب من الفتاة مثل هذا الدم الكثير؟! وهل كان هذا هو سبب موته؟! ان الجثة قد اكتشفت بعد الوفاة بقليل فكيف تسنى للطائر ان يقوم بذلك العدد الكبير من الجولات الكريهة بين البوابة والجثة ليمتص الدماء؟! وكيف اتفق له ان كان في ذلك المكان وقت الحادث؟!

وفحص الطبيب والمحقق الجثة ثانية فوجدا جرح رصاصة صغيرا تحت العين اليسرى ببوصة واحدة واخر اكبر قليلا يدل على مخرج الرصاصة من الراس ـ لقد اخترقت الرصاصة راس الفتاة اختراقا ومع ذلك لم تبعد عنها سوى سبعة عشر قدما!

من كل هذا الغموض اتضح شيء واحد: اننا ازاء حادث قتل. فكان لزاما على المحققين ان يعلموا قبل كل شيء : اين كانت الفتاة ؟ ومع من؟ بين الساعة السادسة والنصف والتاسعة والثلث من مساء الحادث . لقد ذهبت في السابعة والنصف الى كوخ عمها كولبي وكان هناك صهره ايمانز ايضا. بيد انها

لم تصل الى الكوخ بمفردها بل كان معها شاب يستقل دراجة ايضا!

دخلت الكوخ وتركت الشاب في الخارج. وقد ذكرت لعمها ان الشاب غريب لا تعرفه وانه قد ينصرف اذا مكثت بعض الوقت ولكنها لم تطلب الى عمها ان يصرفه. وبعد حوالي الساعة خرجت الفتاة وخرج معها الرجلان الى الباب لتوديعها فاذا بالشاب لما يزل واقفا في الخارج!

ويقول الرجلان ان الشاب قد حيا الفتاة بهذه العبارة: «بيلا . . . لقد ابطات كثيرا، حتى ظننت انك قد انصرفت من الطريق الاخر». ثم تبادل ايغانز مع الشاب بعض الحديث حول دراجة الاخير، فانصرف هذا مع الفتاة. وكان الوقت، انئذ، حوالي التاسعة الا ثلثا. وبعد اربعين دقيقة تقريبا، عثر الفلاح على جثة الفتاة.

وتزود المحققون من عم القتيلة وصهره، بوصف دقيق للشاب ودراجته. فاعلنوا عن جائزة لمن يدل على شخص في الخامسة والثلاثين، طوله خمس اقدام وما بين السبع او التسع بوصات، وشعره مائل الى اللون الرمادي، وصوته عالي النبرة؛ واعطيت كذلك اوصاف ملابسه، وذكر - وهذا مهم - انه يستخدم دراجة خضراء.

ومرت اشهر اسودت الدنيا في خلالها، في عين كل من يمتلك في المدينة دراجة خضراء . . . وود انه لو لم يمتلك تلك الدراجة! فلقد كان على هؤلاء جميعا ان يقنعوا المحققين بتفاصيل حركاتهم وسكناتهم في مساء الحادث، وان يتلقوا تلميحات اصدقائهم ومعارفهم الى انحرافهم الاجرامي! وعلى الرغم من مرور وقت غير قصير، فانه لم يعثر على هذا الشاب. هنالك نزلت اسكتلنديارد الى الميدان؛ ولكنها راحت تتخبط هي ايضا، بين الجريمة . . . والدراجة الخضراء . . . والغراب الميت!!

وصدق هنا القول الماثور: لابد للقتل ان يتكشف.

فبعد مرور نصف عام على الحادث، مر مركب بقناة المدينة، يحمل فحما للمصنع الذي كانت تعمل فيه القتيلة؛ فلاحظ احد نوتيته ان حبل المركب قد غاص في الماء، ثم ارتفع يحمل جزءا من دراجة؛ وبقي فوق الماء لحظة، ثم غاص فيه ثانية. وهذه اللحظة غيرت مجرى حياة رجل! ذلك ان النوتي قد تذكر الجائزة، والشاب المطلوب ذا الدراجة الخضراء؛ فعاد في اليوم التالي بشباكه، فمشط ذلك الجزء من القناة، فاذا به يعثر على هيكل دراجة، اخضر اللون!

فطار بهذا النبا الى المحققين، فانبعثوا للعمل بعد ركود طويل. ومشطوا القناة كرة اخرى، فعثروا على بقية اجزاء الدراجة، وعلى جراب مسدس فيه اثنتا عشرة رصاصة؛ وكان مكان سبع اخرى فارغا. وكانت الدراجة من طراز يصنع في برمنكهام، وقد انتزع منها الاسم، والرقم، والمميزات الاخرى بكل عناية!

ولكن لا بد للقتل ان يتكشف!

ففي مكان خفي من الدراجة عثر على الرقم ١٠٣٦٤٨؛ وما اسرع ما علم انه رقم دراجة بيعت، منذ سنين، الى شخص يدعى رونالد ففيان لايت. فانطلقت اجهزة البحث، تجوس الديار في اثره، فوجد انه استاذ للرياضيات باحدى مدارس جلتنهام.

وكان حسن الطلعة، عليه سيماء الجد، قد سعى اليه مظهر الكبر في وقت مبكر، وكان في ابان الدراسة لاعبا بارزا من لاعبي الركبي؛ ثم صار مهندسا مدنيا، ثم خدم في فرنسا اربع سنين، بعضها بصفة ضابط في الحرب العالمية الاولى. وفي اثناء الهجوم الالماني سنة ١٩١٨، اصيب بصمم جزئي، فسرح من الخدمة سنة ١٩١٩، ثم قضى سنة كاملة بدون عمل، كان يعيش في خلالها مع والدته في ليستر. اما وظيفته الحالية، فيرجع تاريخها الى كانون الثاني ١٩٢٠، وهو الشهر السابق للعثور على الدراجة الخضراء.

وسال المحققون: كيف صارت دراجتك اجزاء متفرقة في قاع القناة؟! فطفق

يرســـل سلسلة من الاكـــاذيب. قال: اني لا املك دراجـة خضـراء، ولا جراب مسدس. واني لم ار بيلا. رايت قط، ولم اكن في قرية كولبي في امسية الحادث على وجه التاكيد! فقدموه الى عم الفتاة وصهره، فاكدا، على الفور، انه هو الشخص الغامض الذي انصرف مع الفتاة قبيل مصرعها. وشهد مصلح دراجات بانه قد اجرى تصليحات على تلك الدراجة، قبل الجريمة بثلاثة ايام. وشهدت فتاتان تدعيان موريل ناني (١٤ سنة) وفاليريا كافن (١٢ سنة) بانهما تعتقدان بان لايت هو الـذي تبعهمـا بدراجتـه، وراح يعـاكسهمـا بالقرب من مكان الجريمة، وفي يوم وقوعها في حوالي الساعة الخامسة والنصف مساء! هذا فضلا عن ان بعض الرصاصات التي كانت في الجراب، هي من نوع الرصاصة التي وجدت في مسرح الجريمة.

ومع هذا كله، اصر لايت على انكاره.

وابتدات المحاكمة. وكان موقف الادعاء العام حرجا منذ البداية؛ اذ لم يكن هناك دليل واحد مباشر على ان لايت قد قتل الفتاة. لذلك، كان على الادعاء العـام ان يلقي حول المتهم شبكـة من الظـروف، والمـلابسـات، والقرائن، ثم يضيق بها عليه الخناق، حتى لا يعود يجديه حتى الانكار. وهكذا اخذ يقدم الشهود ليثبت ان الدراجة الخضراء تعود للمتهم، وانه قد كان مع الفتاة قبيل مصرعها، وانه قد اخفى االادلة وراح يكذب المرة تلو المرة.

وكاد الاتهام يفلح في محاولته، لولا ان وقع مالم يكن منتظرا!!

بينما كان شهوده يتعاقبون، اذا بمحامي الدفاع يفاجىء المحكمة فيحيرها، ويربك الاتهام، ويصعق المستمعين! كان هذا هو المحامي العظيم سر ادوارد مارشل هول، الذي طبقت شهرته الافاق في اوائل هذا القرن، فصار يفزع اليه كل من فقد الامل في الخلاص من تهمته!

نهض مارشل هول، فقاطع الشهادات بكل لطف وادب قائلا: ان المدعي العام الفاضل غني عن كل هذا العناء! وليست به حاجة الى اثبات ان الدراجة

تعود الى المتهم . . . فانا تقرّ بانها له!! ولا حاجه به الى اثبات انه قد صاحب المجنى عليها الى منزل عمها مساء الحادث . . . فانا تقرّ بذلك ايضا!! كما اننا لا حاجة بنا، نحن، الى مناقشة شهوده . . . فاننا مقرّون بما يقولون!! ولكننا ننكر نقطة واحدة او نقطتين، ونود ان نناقش بعض الشهود، لو سمحت المحكمة بذلك.

واسقط في يد الاتهام. هذا هو الدفاع يقر بالجزء الاكبر من التهمة، فما هو الجزء الباقي؟!

قال محامي الدفاع: اني انكر . . . وموكلي سوف ينكر انه قد نادى الفتاة باسمها، حين خرجت من منزل عمها . . . وانما حياها بكلمة هالو.

ثم تحول الى الشاهدتين الصغيرتين، فسلط عليهما استجوابا هادئا، وديعا؛ لكنه دقيق محكم؛ حتى اذا فرغ منهما، لم تعودا ملاكين من ملائكة العدالة، بل صبيتين لعوبتين كانتا تتغذيان بالصحف والافلام المثيرة، حتى صارتا تتخيلان هذا الذي شهدتا به، ثم حددتا وقته بوحي من المحققين. ولم يجد الحاكم، في نهاية الجلسة، الا ان ينصح المحلفين بعدم الاهتمام بهاتين الشهادتين قيد انملة.

وطلب هول الى موكله ان يتوجه لاداء الشهادة. فبدا هذا، في موقف الشهود، هادئا، وقورا، كمحارب قديم اذاقته الحرب ويلاتها . . . ولم يحاول محاميه ان يستغل خدمات موكله في الحرب، بل اكتفى ببيان اثارها في اعصابه، مما يفسر تردده، وخوفه، وبعض تصرفاته.

واعلن المتهم قصته على الملا كما يلي، قال:

«لم يكن لدي مسدس منذ ان اعدت الى وطني فوق نقالة! وفي مساء الحادث، تركت منزلي في حوالي السادسة الا ربعًا لاتنزه بدراجتي. فمررت بالقرب من قرية كولبي؛ وهي منطقة لا اعرفها حق المعرفة. وفي السابعة الا ربعًا كنت لدى مكان يقال له لتل سترنتن. واني لم اقابل الفتاتين الصغيرتين

قط. ولما رايت ان الوقت لما يزل مبكرا، فقد اثرت ان اعود من الطريق الاطول؛ وهذا هو الذي ادى بي الى الاتجاه نحو كولبي ثانية.

وفي الطريق، التقيت بفتاة واقفة على جانبه تتفحص دراجتها. فسالتني ان كان لدي اداة معينة لاصلاح دراجتها، فاجبت بالنفي. كانت عجلة دراجتها الامامية معطوبة؛ فلما لم نستطع ان نفعل لها شيئا، سرنا سوية، ورحنا نتبادل الاحاديث. وقد اخبرتني بانها ذاهبة لزيارة بعض الاصدقاء في كولبي، وانها سوف تمكث لديهم عشر دقائق او ربع ساعة. ففهمت من ذلك انها تلمح لي بالانتظار لنعود معا.

وانتظرت حوالي عشر دقائق، ثم اقتدت دراجتي فوق التل حتى الكنيسة. وهنا ركبتها قاصدا العودة الى ليستر، فاذا بالهواء يتسرب من العجلة الخلفية. فنفختها وجلست استريح، فاذا بهوائها يتسرب ثانية، فرحت اصلح العيب، حتى اذا انتهيت كان الوقت الثامنة والربع. فشعرت باني قد تاخرت، وخطر ببالي ان اعود لارى ان كانت الفتاة قد رجعت. فاتفق ان خرجت من المنزل وانا امر امامه. فحييتها قائلا: هالو... لقد تاخرت طويلا حتى حسبت انك قد انصرفت من الطريق الاخر. ثم تبادلت الحديث مع ايغانز. وانا اويد شهادته، سوى اني لم اناد الفتاة باسمها.

وسرت مع الفتاة حوالي عشر دقائق، فاذا بالعطب يعاود عجلتي الخلفية. فتركتني عند مفترق الطريق، فاتخذت الطريق الاطول ـ طريق كارتري، اما انا، فقد اتخذت الطريق المباشر. ولما كنت اسير على قدمي، واقتاد دراجتي، فلم ابلغ منزلي الا في الساعة العاشرة تقريبا.

وفي يوم الثلاثاء التالي، سمعت بالحادث. فما ان قرات وصف الفتاة، ووصف دراجتي، حتى ادركت اني قد صرت الرجل المطلوب. فاستولى علي رعب شديد، واشفقت على نفسي، وعلى والدتي العليلة، الضعيفة. ورغ. م

في ان اتجنب مشقة التحقيق، ولربما محنة المحاكمة ايضا. واني اقرّ الان، بان لجوئي الى الصمت، ثم الى الاخفاء، ثم الى الكذب، قد كان كله مجرد حماقة.

وبعد الحادث، لم استعمل دراجتي. ثم فككتها فالقيت بها مع جراب المسدس في القناة».

وهكذا كانت افادته مفصلة، متسلسلة، يشيع فيها الصدق بحلوه ومرّه! ولقد انفق المدعي العام خمس ساعات، سلط فيها عليه ادق مناقشة، واقسى استجواب، فما افلح في بعث الريبة في قصته، او الظفر بفلتة من لسانه!

ونهض محامي الدفاع ثانية، فراح يلقي باوراقه الاخيرة. لقد كان هو نفسه خبيرا بالاسلحة، فجعل يناقش الفنيين من شهود الاتهام حول الجرح، وحول الرصاصة. وقد ذهب الى ان رصاصة من النوع الذي اصاب الفتاة، ومن مسافة سبع اقدام حسبما يظنون، كانت خليقة بان تمزق ظهر الجمجمة تمزيقا، وان تذهب الى مسافة ابعد من المسافة التي ذهبت اليها. والتفسير الوحيد، المعقول، للواقعة، هو ان الفتاة قد اصيبت بالطلقة وهي مستلقية على الارض ... وحتى هذا التفسير يكاد يكون غير مقنع كل الاقناع. اما كون الرصاصة التي وجدت الى جانب الجثة، هي من نفس عيار الرصاصات التي وجدت في جراب المسدس، فان هذا لا يعني شيئا، لان مثل هذه الرصاصة كانت تباع بالملايين ... ثم اضاف ان الرصاصة التي عثر عليها في الطريق، قد لا تكون هي القاتلة، فان الفتاة لربما تكون قد قتلت برصاصة عرضية من الحقل المجاور، ومن بندقية.

واستطرد المحامي العظيم يقول: ليس هناك من يشهد بانه قد راى المتهم والفتاة في طريق كارتري؛ كما انه لم يره احد في مسرح الجريمة، او قريبا منه ... ثم ليس هناك اي باعث على الجريمة، فليس هناك خصام بين عاشقين

. . . ولا يوجد اثر لاي اعتداء على الفتاة ـ فلم، اذن، يقتل المتهم هذه المسكينة؟!

وهكذا حول الدفاع جميع الملابسات، والظروف، والقرائن، الى مجرد شكوك واوهام، ولمصلحة المتهم!!

وكان الحاكم في تلخيصه للقضية اميل الى جانب الدفاع. ولبث المحلفون يتداولون ثلاث ساعات، وصاروا تسعة ضد ثلاثة لصالح المتهم؛ ثم انصاعت هذه الاقلية لرأي الاكثرية، فجاء قرارهم بالاجماع: غير مجرم.

ودوت قاعة المحكمة بالهتاف والتصفيق.

وهكذا انتهت القضية في سجلات القضاء. ولكنها في الواقع لم تنته . . . فمن هو الذي قتل بيلا رايت؟!

من المحتمل اننا لن نعرفه قط، ومن المحتمل اننا لو كنا في مثل الورطة التي تردى فيها المتهم، لما وسعنا ان نفعل غير ما فعل. واما الغراب، فلم تكن نهايته باوضح من نهاية بيلا رايت، وايسر دوره في هذه القضية، انه اضاف غموضا فوق غموض!

الحب اليائس



الحب اليائس

«وا أسفاه على حب النساء فلقد علم انه شيء جميل ومخيف!»

لورد بايرون

هذه القضية تنطوي على قصة من القصص التي يولع بها مخرجو هوليود، ويحرصون على اخراجها في رق سينمائي، لولا انها تفتقد النهاية السعيدة.

ممرضة ايرلندية حسناء، وشاب امريكي وسيم، يلتقيان في ظل الحرب، فيكون الحب، ثم الزواج، ثم الطفل؛ ولكن القصة ـ مع الاسف لا تنتهي عند هذا الحد، بل تستمر احداثها وهي تتقلب بين الحب والكره، والخصام، والمصالحة؛ وينتقل ابطالها بين ايرلندا، ولندن، وباريس، ثم يعبرون المحيط الى العالم الجديد. وهنا، في مدينة صحراوية، صغيرة، يقع فصلها الاخير الفاجع.

واذا كانت هذه القصة، لا تصلح لفلم سينمائي، فان المحاكمة التي اعقبتها تصلح بالتأكيد، لفلم مثير.

ولدت بريجيت ووترز في ايرلندا الشمالية، وبدأت تكسب رزقها وهي في الخامسة عشرة، ثم راحت تدرس التمريض. وفي هذه الفترة وقع اللقاء؛ وكانت هي في أوائل العقد الثالث، وكان هو في السادسة والثلاثين. لقد جاءت الى مسقط رأسها لتقضي عطلتها، وجاء هو ليعمل مستخدما لدى شركة لوكهيد لماوراء البحار. واتفق انها كانت مع صاحبات لها يستعرضن واجهات المخازن، فوقعت عيناه عليها. فما اسرع ماكان التعارف، وما اسرع ما كان الحب! ثم تم الزواج؛ وراحا يتطلعان الى مستقبل سعيد يمتد الى نهاية العمر. ولكن الرياح تجري بمالا تشتهي السفن؛ فلم تكد تمضي عليهما اشهر قليلة، تعسة، حتى وقعت المأساة.

كان ذلك في يوم من عام ١٩٤٦، بمدينة لاس فيكاس، في ولاية نيفادا. وصل المحققون الى المنزل الصغير، الانيق، فوجدوا فرانك ووترز جثة ممددة فوق الارض، ووجدوا طفله «يوج» يفجر رأسه الصغير بالبكاء والعويل ـ لقد سمع صوتا قويا، وشعر بشيء يؤذي، ولكنه بالطبع لم يدرك ان اباه قد مات،

وأن امه كانت تطلب الطبيب بالهاتف، وهي تجهش بالبكاء.

لقد كتب الشقاء على هذا الزواج منذ البداية. ويكفي ان تعلم ان الظروف كانت تفرق بين الزوجين الدهر الاطول، فهما يلتقيان أياما هنا، وأياما هناك؛ واخر اجتماع بينهما كان في لندن، وقد استمر شهرين، ثم انفصلا.

وحول هذا الافتراق المتكرر، نشب بين الزوجين نزاع شديد، انتقل بعده فرانك الى باريس. وتزعم زوجته انه هو الذي طلب هذا النقل، وانه صارحها بانه لا يريد ان يراها ثانية، وانه لايهمه ان يرى حتى طفله، كل ذلك لانها لا توافق على انفصالها بصورة غير قانونية. اما الادعاء العام فله رواية اخرى. فقد بين في المحاكمة ان فرانك كان مأمورا بالسفر الى فرنسا، ولم يكن بوسعه ان يخرج على ذلك الامر. وابرز رسالة من فرانك الى والدته، يذكر فيها محاولاته للابقاء على زواجه؛ ويصف بريجيت بانها سيئة الخلق، ذات نزوات؛ ويدعي انها هي التي كانت تصر على الانفصال غير القانوني، فاضطر الى قبوله على الرغم من انه كان يتوقع ان يكون للطفل، بمرور الزمن، اثر ملطف في حياتهما الزوجية المضطربة.

وقد وصفت هذه الرسالة، في اثناء المحاكمة، بأنها الشهادة الوحيدة للمجنى عليه. وهي تثير بعض التساؤل: لقد ورد فيها مامعناه انه كان يخشى بريجيت، وانه لم يشعر في حياته بمثل الارتياح الذي شعر به، وهو يستقل الطائرة الى باريس. والتاريخ الذي تحمله الرسالة هو السادس من تشرين الاول ١٩٤٤، في حين ان هناك شهادة قاطعة بان ووتر قد طار الى باريس في الثالث عشر من ذلك الشهر، فكيف كان يصف مشاعره في تلك السفرة، قبل وقوعها بسبعة ايام؟! ولم يعثر على غلاف هذه الرسالة، للتأكد من التاريخ الفعلي لابرادها. ثم انها قد تضمنت اشارات الى قصف لندن وامور حساسة اخرى، فلو انها قد ابردت في اي من التاريخين المذكورين، لوجب ان تمر بالرقابة، وعندئذ لم تكن هذه لتسمح بمثل تلك الاشارات والتفاصيل؛ فكيف تخطت الرسالة هيئة الرقابة؟!

بيد ان محامي بريجيت، لم يكن بوسعه في تلك الظروف، ان يثير مثل هذه التساؤلات، لوجود موانع في القانون المحلي تحول دون اثارتها.

ولنعد، الان، الى الاشهر التي سبقت وقوع المأساة. لقد عاد فرانك الى الولايات المتحدة في واخر ١٩٤٥. وفي كانون الاول من تلك السنة، ذهب الى لاس فيكاس محاولا الحصول على الطلاق. وما كادت زوجته تسمع بذلك، حتى حملت طفلها، وعبرت المحيط، لتخاصم في قضية الطلاق. ومع ان زوجها كان معارضا لقدومها، مصرا على تطليقها، فقد اجر لها قبل وصولها بيتا خلويا لتقيم فيه. وفي هذا البيت وقع حادث يستحق الذكر؛ فلقد اخبر المحلفين ابن المشرف على البيت، وهو صبي في الرابعة عشرة، بأن فرانك وترز قد شغل ذلك البيت مع امرأة اخرى لايعرف اسمها، وكان ذلك في ليلة اليوم السابع عشر من نيسان ١٩٤٦؛ وبانه قد طلب اليه بعد ذلك، ان ينظف الحجرة ويرتبها ثانية، قبل ان تصل زوجته. وقد قص الصبي هذا الحادث على برجيت عند وصولها.

ومهما يكن من شيء، فأن الزوجة الايرلندية عارضت الطلاق، وطلبت ان تعيش منفصلة عن زوجها، على ان ينفق عليها وعلى الطفل. هنالك فصل وترز ماجاء في رسالته التي ذكرناها، ثم راح كل منهما ينسب الى الاخر القسوة الشديدة. ولكن المحلفين قرروا ان الزوج هو المعتدي ـ ليس بالقسوة الشديدة فقط، بل بهجر زوجته، وعدم الانفاق عليها وعلى الطفل، فحكموا لها بنفقة شهرية قدرها مائة دولار.

وبقيت بريجيت مع طفلها في لاس فيكاس، يعيشان مع أسرة كانت الام تعمل مربية لديها. ولدينا بصيص من حياتها في هذه الفترة فقد ورد على لسان احد الشهود في محاكمتها قوله: «انها كانت تبكي كثيرا، وتقول انها ستنسى الماضي، وستصفح عن زوجها، اذا رجع اليها... وان امنيتها الوحيدة هي ان يعود ليمنح طفله الحب الكافي، وليعيد النظر في قراره، فيستأنف الحياة الزوجية معها».

وتعاقب الجديدان؛ وفي خلال ذلك قامت بريجيت بعدة محاولات من اجل الصلح مع زوجها، لكنها باءت جميعا بالفشل. وتذكر ان زوجها قد بين لها بأن وجودها في لاس فيكاس مما يسبب له الحرج، وانه قد عرض عليها اربعة الاف

دولار لتوافق على الطلاق، وتسلم الطفل له. فما كان منها الا ان اتهمه بانه يحاول شراء الطفل بالمال، ثم طردته من البيت. وتذكر ايضا، انها بعد حين، وافقت على الطلاق بشرط ان يهيء لها منزلا، وان يجرب معها الحياة الزوجية ستة اشهر اخرى، فرفض ذلك.

على هذا النحو كانت الحالة بين الزوجين في ذلك اليوم الفاجع من عام ١٩٤٦. وفيه اقبل الزوج على المنزل الذي تقيم فيه زوجته، ليأخذ ابنه في زيارة قصيرة. وكانت والدته بصحبته، لكنها بقيت تنتظر خارج المنزل. ونحن لانعرف، بالضبط، ماذا جرى بين الزوجين داخل الحجرة التي التقيا فيها، سوى ان طلقة قد اطلقت، فقتلت الزوج، وجرحت الطفل جرحا طفيفا؛ وان احد الشرطة قد تلقى، بعد لحظات، نداءا هاتفيا تطلب فيه الزوجة ان يهرع اليها مع الطبيب!

واجتاحت اخبار هذه الجريمة مدينة لاس فيكاس من اقصاها الى اقصاها؛ وقفزت صور هذه الفاتنة الايرلندية، ذات الشعر الاحمر، الى الصفحات الاولى من الجرائد. وفي خلال الاسابيع التي سبقت محاكمتها، ودّ الكثيرون ان يكون لهم دور في هذه القضية الشهيرة، بما في ذلك كبار المحامين، وموظفو القنصلية البريطانية العامة في سان فرانسسكو. وقد استاجرت والدة المجني عليه مندوبا صحفيا خاصا، ليعينها في تحقيق العدالة

ازاء ذلك، ليس غريبا ان نشهد قاعة المحكمة وهي تغص بالحاضرين في جميع الجلسات. وهي نفس المحكمة التي نظرت في قضية الطلاق بين الزوجين من قبل. وفي هذا الوسط من المشاعر المضطرمة، والعواطف الجامحة، راح الاتهام والدفاع يتعاقبان على المسرح، فيسلطان الاضواء على الزوايا الخفية، ويتراشقان لكسب القضية.

أما الادعاء العام، فقد رسم للمتهمة صورة المرأة الحقودة، المنتقمة، الشريرة، الممثلة، وللمجنى عليه صورة الرجل الرقيق، اليائس، العاجز. واتهم الزوجة بانها قد قتلت زوجها عمدا وأنانية، لكيلا تخطى به امرأة اخرى؛ وبأنها كانت تستعد لهذه الجريمة منذ ان استعارت مسدسا من احد الجيران. ثم ذكر

الحاضرين بأن المتهمه ممرضة على نصيب من علم التشريح، فهي تعرف كيف تقتل بطلقة واحدة من مسدس صغير.

واما الدفاع، فقد اوضح ان بريجيت انما استعارت المسدس لحماية نفسها. ذلك ان مستخدمها كان خارج المدينة، وقد سرت اشاعات عن مجرمين يهيمون في تلك المنطقة، فيعيثون فيها فسادا. ثم ترك للمتهمة ان تصف حادث اطلاق النار.

قالت: «لقد جدد فرانك طلبه للطلاق، وبدت على وجهه نظرة القت الرعب في نفسي. فقلت له: اني سوف انقل الطفل الى حيث لا تستطيع ان تراه ثانية. فهجم علي، وكان المسدس في يدي، فانطلق، واني لم اكن اقصد قتله. ولما رأيت الطفل في خطر، اردت ان اخرج به من المنزل».

ونهض نائب المدعي العام، فبين ان المسدس صغير الحجم، فهو ليس من النوع الذي ينطلق، من تلقاء نفسه، بمثل هذه السهولة. وعزز قوله بان طلب، وسط احتجاجات الدفاع، ان يحاول كل محلف ان يسحب الزناد الى موضع الانطلاق، فكانت المحاولة صعبة، وقد احتاج الجميع الى جهد غير عادي لادائها. ولكن احد خبراء الاسلحة علق على ذلك - خارج المحكمة - بان المسدس كان في حوزة الادعاء العام مدة ستة اسابيع، وانه قد ارسل الى لوس انجلس لاجراء الفحوص عليه. وليس من المستبعد انه قد كيف، بصورة عرضية، للانطلاق بصعوبة. ومهما يكن من شيء، فان النائب قد ختم مرافعته بصورة عاطفية مسرحية، وصف فيها دفاع المتهمة بانه: «كذبة وقحة لاتعرف الخجل»، وقال: «انها قاتلة قتلت زوجها بلا مبرر، بعد ان منحتها هذه المحكمة وهذه البلاد، كل ماأرادت.»

ولم يستطع الدفاع، ازاء هذا التحامل المسرحي. الا ان يلمح الى ان نائب المدعي العام قد كان يعمل في السينما، وانه قد مثل دورا امام الممثلة الشهيرة ماي ويست وانه ما زال يمثل، ويعتقد ان كل انسان يمثل ايضا! ثم اشار الى ان المحلفين في محاكمة طلب الطلاق، وفي هذه المحكمة نفسها، قد سمعوا فرانك يقول كل مالديه ضد زوجته؛ ومع ذلك، فقد قرروا انه هو المذنب.

وختم مرافعته بقوله: «كل مالدى هذه الام هو طفلها، فلا تبعدوها عن طفلها»

وانفقت هيئة المحلفين خمس عشرة ساعة، وهي تقلب الرأي لاتخاذ قرار وكان قرارها في النهاية ان الجريمة قتل غير متعمد. وعقوبة ذلك في القانون المحلي، الحبس من سنة الى خمس سنين. ثم اجلت الجلسة الى اليوم التالي لاصدار الحكم، واخلى سبيل المتهمة بكفالة.

وفي اليوم التالي صدر الحكم بالسجن خمس سنوات، واتخذت الترتيبات ليبقى الطفل في مكان قريب، يتيح لامه ان تراه اكثر مايمكن.

سحر . . أم قتل؟!



سحر... ام قتل؟!

قد تعجب من هذا العنوان، وقد تتساءل اسحر في هذا العصر؟! ولكن الواقع يؤيد ان السحر لما يزل له سلطانه في بعض الاماكن المنعزلة، والبيئات المتأخرة. وهذه القضية التي احدثك عنها، كادوا يفسرونها بالسحر، لولا ان القضاء لايقبل مثل هذا التفسير.

في احضان جبال الاوزارك، بولاية مزورى الامريكية، بحيرة تشع الجمال والهدوء، قد انتشرت على جانب منها بيوت انيقة، يؤمها المترفون للاستجمام. ولكن بالقرب منها تقع مناطق جبيلة، منعزلة، موحشة، لم يسمع قطانها مذياعا، ولم يروا سيارة!

وفي صبيحة يوم مشرق من نيسان ١٩٤٤، اقبل ثلاثة سمّاكين ليقضوا يوما عند البحيرة. وما كاد زورقهم البخاري ينحدر الى خليج صغير، حتى ندت عن احدهم صرخة رعب!

لقد كان هناك جذع امرأة يطفو فوق الماء! كان الجذع لامرأة طويلة، ضخمة، تزن اكثر من مائتي باون، مسنّة قد جاوزت الستين، تدل يداها على انها قد كدحت طوال العمر، وثيابها الرخيصة على انها من سكان التلال، او نساء الحقول.

وقد اطلقت عليها طلقتان من بندقية، ثم قطع رأسها، فألقي جذعها في البحيرة، قبل العثور عليه بأربع وعشرين او ست وثلاثين ساعة تقريبا.

وبدون الرأس، كان التعرف على شخصية المرأة مشكلة المشاكل.

وسرعان ما تحولت تلك البقعة الهادئة، المريحة، الى مسرح لنشاط محموم: جند من الفرسان، ونفر من القطان، يبحثون عن الرأس في كل ناحية. فكل شبر على ضفاف البحيرة قد فحص؛ وبعثت بصمات القتيلة الى كل مصدر للمعلومات؛ وسئل كل شخص قريب من البحيرة اذا كان يفتقد امرأة طويلة، بدينة، قد جاوزت الستين.

وكانت النتيجة سدى!

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، كان احد الجنود يبحث في البحيرة قريبا من المكان الذي وجدت فيه الجثة فاذا به يقع على شيء اخر مريع... كلا،

ليس الرأس المفقود. . . بل جذع امرأة اخرى!

وكان الجذع، في هذه المرة، لامرأة في حوالي الثلاثين، طويلة ايضا، لكنها متناسقة الجسم، ترتدي ثوبا فضفاضا حيك باليد، كالذي ترتديه نساء الاوزارك.

اما سبب الوفاة، فثلاث طلقات من بندقية. وكان في رسغ رجلها حبل يدل على انها ربطت به وهي حيّة.

وظهر من التحري ان المرأتين قد قتلتا والقيتا في البحيرة في وقت واحد تقريبا.

واودعت الجثتان في كلية الطب بجامعة كولومبيا. وهناك انفق الاطباء والخبراء الايام الطوال، متبعين كل وسيلة للتعرف على شخصية المرأتين، فما علموا اكثر من انهما من مرتفعات الاوزارك - وهذا قد علمه المحققون من قبل.

فانطلقوا الى البحيرة، فمشطوها بالشباك، واستخدموا الاجهزة المغناطيسية في البحث عن الرأسين، والسلاح الذي وقعت به الجريمة، فلم يجدوا في هذا التيه هدى.

ومما زاد الامر غرابة عدم وقوع اي اخبار عن فقدان امراة في الاماكن المجاورة للبحيرة كما ان الاكشاك المحيطة بها لم يظهر عليها اي اثر يدل على انها كانت مسرحا لهاتين الجريمتين. والنتيجة المنطقية لذلك هي ان الجريمتين قد ارتكبتا في مكان بعيد ثم نقلت الضحيتان الى هذا المكان الوديع.

ولم يبق امام المحققين والخبراء سوى الانتظار فكانوا من المنتظرين.

وراحت الاسابيع يتلو بعضها بعضا طويلة ثقيلة مملة وفي اثنائها اخذت تتسرب من مناطق الاوزارك اشاعات عن سحر وممارسات لطقوس قديمة مريعة لها علاقة بهذه الجريمة. وقد تايدت هذه الاشاعات حين اعلن في نيويورك ثقة كبيرة في شؤون السحر والطقوس البدائية هو العلامة وليم سيبروك: اننا في هذه الجريمة امام لغز من الغاز «المارسا»!

وفزع المحققون الى هذا العالم الكبير يسالونه ما هي هذه المارسا وكيف تكون؟ فجاءهم الجواب انها وسيلة قديمة بشعة لمعرفة الاسرار المحرمة!

وبموجبها يقطع راسان بشريان فيوضعان وجها لوجه ويجعل بينهما سيف ملطخ بالدم. وعندئذ يفترض انهما سوف يتهامسان بامور ما كان صاحباها يبوحان بها وهما على قيد الحياة! وهذا الاسم قد اطلق على هذا اللون من السحر في افريقيا ولكنه عرف ايضا في انحاء ويلز ومن هنا نقله المهاجرون الاوائل الى مناطق الاوزارك قبل مائة وخمسين سنة تقريبا.

وقد القى هذا الايضاح بعض الضوء على لغز الجثتين العائمتين فهو يفسر على الاقل سبب قطع الراسين. ولكن ما الذي يجعلنا نجزم بان هاتين الجريمتين قد كانتا ممارسة لهذا النوع من السحر؟! وكيف السبيل الى اقناع المحكمة بذلك وهو مجرد فرض لا اكثر ولا اقل؟! وعلى ذلك رفض المحققون الاستسلام لهذه النظرية ولكنهم في الوقت نفسه اعترفوا بانها إحتمال ممكن الوقوع.

ثم رجعوا الى اوصاف النسوة اللائي فقدن من قبل وجرى تحقيق دقيق في كل قضية على حدة ومع ذلك لم تعرف هوية القتيلتين.

فلما كان الخامس عشر من مايس اي بعد شهر من اكتشاف الجثة الاولى اقبل شاب فافاد بانه يفتقد امراتين من اهله: زوجة ابيه وتدعى بيرل فيرفاكس، واخته وتدعى مولي هولاند. وقد كانتا تعيشان في مزرعة بالقرب من لامونت مع زوج الاخت السيد ادكار ثم غابتا منذ شهر ولم يقع لهما على اي اثر. ومثل هذا الاخبار كثير الوقوع لذلك لم يكن ليثير كبير اهتمام لولا ان الشاب قد اضاف ان السيدة مولي هولاند لم تكن على وئام مع زوجها حتى انه قد جرى بينهما حديث عن الطلاق. فسئل عن اوصاف اخرى فقال ان زوجة ابيه تزن اكثر من مائتي باوند وان اخته كانت اقل وزنا لكنها اكثر طولا.

هنالك تضاعف اهتمام المحققين وانهالت الاسئلة فعلموا من بين ما علموا انه قد اجري للسيدة فيرفاكس عملية جراحية قبل اختفائها بسنة.

وفي خلال ساعات جلب الطبيب الذي اجراها والممرضة التي عنيت بالمريضة فوقفا ازاء جثة المراة الكبرى يتاملانها بكل دقة. قال الطبيب ان في الجثة اثرا يشبه تماما الاثر الذي احدثته العملية وتذكرت الممرضة ان المراة كان لها اصبع مشوه في قدمها وهكذا كانت الجثة. ولكنهما لم يستطيعا الجزم بشيء

حول شخصيه المراه.

بيـد ان هذه المعلومـات قد مهـدت السبيـل امـام المحققين للسيـر بخطى سريعة موفقة. فقد ارسل احد الرجال لمقابلة اوكار هولاند وبعث اخر للحصول على بصمات اصابع من منزله. واذ علموا ان مولي هولاند كانت تعمل في احد المصانع فقد طلبوا الى المصنع تزويدهم ببصمات القتيلة واوصافها. فوصلت اليهم المعلومات التالية:

«ولـدت مولي هولانـد في الخـامس من مارت ١٩١٠. طولهـا خمسـة اقدام وثمـانيـة انجـات ونصف، ووزنهـا مائة وثلاثون باوند.» وكانت بصماتها المرسلة مطابقة تماما لبصمات صغرى القتيلتين. واخيرا طبقت بصمات اخذت من قنينة بمنزل هولاند على بصمات بيرل فيرفاكس فكانت مثلها تماما.

وهكذا عرفت الان هوية القتيلتين ولكن بقيت هناك هذه الاسئلة المحيرة: لماذا واين قتلتا؟ ومن هو القاتل؟ واين الراسان المفقودان؟

وفي منزل هولاند الريفي الانيق جرى استجوابه فبدا عليه الوجوم حين اخبر بان القتيلتين يحتمل ان تكونا زوجته ووالدتها. فاوضح ان هذا الاحتمال بعيد جدا لان المراتين كانتا قد رحلتا الى الجنوب منذ شهر تقريبا فهما آنئذ اما في فلوريدا او في تكساس.

فاصطحبوه الى قاعة الجثث بكلية الطب وهناك ابيض وجهه وارتعدت يداه وراح يتمتم: لا ادري . . . ولا استطيع ان اجزم بشيء. فاخبروه بلطف بما افاده كل من الطبيب والممرضة وبمطابقة البصمات فانهارت اعصابه ودفن وجهه بين يديه. وبعد ان جمع شتاته راح يقول : لقد كانت بيني وبين والدة زوجتي مشـاكـل من حين لاخـر ولكنهـا لم تبلغ حد الخطـورة. وكـانت مولي امراة قلقة مضطربة لا تستقر على حال ولا تهدا في مكان. فكانت تلك الرحلات المتعاقبة لاسيمـا في موسم الحصـاد. وقـد ذهبت الى بحيـرة الاوزارك اكثـر من مرة وقـد صحبتها في بعض المراتِ حيث اقمنا في مخيم عند البحيرة.

وذكرت له الاشاعات الغامضة التي تدور في تلك المنطقة فاعترف بان مولي كانت غريبة الاطوار مشغولة البال بامورخفية لا يستطيع لها فهما. ولا يستبعد ان

تكون قد اقحمت نفسها في تلك الممارسات السحرية الغريبة. وبما انه لم تكن تخبره بشيء عن تلك الرحلات الغامضة المتكررة فهو لا يستطيع ان يدلي بالمزيد من التفاصيل.

وراحت زمرة من المحققين بالاشتراك مع هولاند تعيد التفتيش العقيم في الانحاء المجاورة للبحيرة بينما راحت زمرة اخرى تفتش منزله تفتيشا دقيقا. وقد عثرت هذه الزمرة على اشياء اقنعتها بان السحر بريء من هاتين الجريمتين. عثرت على ادوات معدنية مختلفة ومشبك وازرار كلها محروقة وعثرت على كرسيين والواح منتزعة من جدار المطبخ كلها ملوثة بالدم.

واثبت التحليل ان الدم الذي وجد على الكرسيين انما هو دم بشري. فقيل لهولاند: لقد قتلت المراتان في عقر دارك والدم شاهد على ذلك واحرقت ملابس المراتين في موقدك والرماد وما فيه دليل على ذلك. ويبدو انك قد اسرعت بعد اختفاء المراتين الى تغيير ورق الجدران وتجديد رصف ارض المطبخ لازالة اثار الجريمة ولكن بقع الدم الصغيرة قد افلتت من ملاحظتك لتقع تحت مجهر الخبراء ولم يدر بخلدك كذلك ان ثياب المراتين المحروقة سوف تترك الازرار والمشبك في بطن الرماد شاهدا يقص على الملا السر الدفين!

ومع ذلك ظل هولاند مصرا على انه بريء. واوضح ان زوجته هي التي طلبت اجراء التغييرات المذكورة في المطبخ قبيل رحلتها الاخيرة. وهكذا اثار حيرة جديدة في نفوس المحققين.

ولكن خاطرا خطر لهم جعلهم يظهرون على هذه الحيرة. فلقد يكون من الحق ان زوجته هي التي طلبت اجراء هذه التغييرات ولكن قد يكون من الحق ايضا ان هذا الطلب نفسه قد الهمه بان يتخلص من المراتين ثم يخفي اثار الجريمة بتنفيذ ما طلب اليه!

ومما عزز هذا الخاطر الحصول على معلومات جديدة عن ماضي الرجل وشؤونه العائلية. فقد علم انه كان نزيل السجن سبع سنين لسرقة احد المصارف وانه قد اسر لشخص كان يوصله في بعض الطريق انه قد ضاق بزوجته

وانـه يزمـع الخـلاص منهـا. وقـد تاكـد كذلـك انـه قد جرت بينـه وبين زوجتـه خصومات متكرة طلبت على اثرها الطلاق وكانت والدتها تقف الى جانبها في جميع تلك الخصومات. وقد لفت نطر احد المحققين فقدان احد الابواب من منزله دون ان يقدم لذلك تفسيرا معقولا وقد يكون قد تلوث بالدم اثناء ارتكاب الجريمة فاضطر هولاند الى اتلافه.

بدات محاكمة هولاند في اواخر كانون الثاني ١٩٤٥ فكانت موضع اهتمام الباحثين والراي العام على السواء. ذلك ان الجريمة كانت غامضة وغريبة في وقت واحد . وقد دعا ذلك احد العلماء البارزين الى الاعتقاد بانها ضرب من السحـر الاسـود. وهـوالسحـر الـذي ساد في اوربـا في القرن الثامن عشر فافسد الحيـاة السيـاسيـة والاجتمـاعيـة افسـادا شديـدا. ومن المفارقات المتعلقة بهذه الجـريمـة انهـا على الـرغم من هذا الجـو البـدائي المحيـط بها فقد استخدمت احدث الوسائل العلمية المتيسرة آنئذ في الفحص والتقصي للوصول الى كنهها.

واخطر ما في هذه المحاكمة انه ليس هناك دليل مباشر يدين المتهم. فكل ما توصـل اليـه ادلـة غيـر مبـاشـرة ومـلابسات مستمدة من الظروف التي احاطت بالجـريمـة. ومثـل هذه الادلـة يصعب الاخـذ بهـا عادة حيث تكـون العقـوبـة الاعدام. ثم ان المتهم بقي صامدا حتى النهاية منكرا التهمة اشد الانكار. بل انه كاد ان يزعزع الاتهام حين ظهر العمال الذين اجروا التغييرات في منزله شهود دفـاع يؤكـدون ان زوجـة المتهم هي التي طلبت اجـراءهـا وانهم لم يروا اثـار الجريمة او بقعا لدم حين قاموا بعملهم.

ومع ذلك كانت الملابسات والظروف في نظر المحكمة والمحلفين اقوى من هذه الشهادة فكان قرارهم القتل مع سبق الاصرار.

ومع ذلك ظلت هذه القضية تشغل الاذهان . وراح الناس يتساءلون: اي سر يكمن وراءها؟! اهو سحر اسود ام قتل عادي؟!

ولم يعثروا على الجواب حتى الان.

جريمة بلا دافع

الجـرائم الخطيـرة التي تنتهي بالادانـة قد يلفهـا النسيـان بعـد ان يمر عليها بعض الوقت اما الجرائم الغامضة فهي التي تلازم الاذهان. واذا الجريمة جهل فاعلهـا وجهـل باعثهـا ازدادت غمـوضا وخطورة لانها آنئذ تفتقد الهدف المحدد فيصبح كل فرد هدفا محتملا لها.

من هذا النوع الاخير الجريمة التي ذهبت ضحيتها السيدة والاس. فحتى الان يتساءل الناس: من الذي قتلها؟ ولماذا قتلها؟ ولكن هذه نهاية القصة فلنعد الى اولها.

وليم هربرت والاس وجوليا والاس زوجان يعيشان عيشة بسيطة راضية في ناحية من نواحي ليفربول. وعمرهما واحد هو اثنتان وخمسون سنة. اما الزوج فهو من وكلاء التامين واما الزوجة فمن ربات البيوت. وقد انقضى على زواجهما ثمان عشرة سنة دون ان يرزقا الولد. وبيتهما صغير لذلك اكتفيا بخادم تحضر كلما دعت الحاجة.

كانت حيـاتهمـا هادئـة مطمئنـة يسودها الحب والوئام حتى صار اصدقاؤهما يضـربـون بهمـا المثـل في الصفـاء والـوفاء. وكانت جوليا شديدة التقوى عميقة الايمان اما وليم فحائر العقيدة يرجع الى زمرة اللاادريين. وكانا يهويان الموسيقى وبين الفينة والفينة يدعوان بعض الاصدقاء المقربين ليقضوا معهم امسية موسيقية هادئة. وكان وليم ايضا لاعب شطرنج من الطراز الاول وافضل ترفيه يخرجه من بيته هو حضور اجتماعات نادي الشطرنج المركزي في مكان يدعى مقهى المدينة.

وجماع القول انهما شخصان لا يحتمل قط ان تكون لهما علاقة باية جريمة بله ان يكون احدهما من ضحاياها. هما من الطراز الذي اذا قرا في الصحف جريمة قتل قال لنفسه: الحمد لله ... هذا شيء لا يمكن ان يقع لي.

ولكن الزمان لا يفنى له عجب!

ففي حياة هذين الزوجين الهادئين الوديعين دخل شخص غامض لا ندري من اين اقبل ولا ماذا يريد، شخص ليس لعنوانه مكان وقد لا يكون لاسمه وجود! ولا يدخلن في روعك اني احاول الاغراب ... انما انا اذكر الوقائع كما

حدثت ، مجردة عارية.

في ليلة التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٣١ اتصل رجل يحمل هذا الاسم الغريب: كوالتراوغ، اتصل هاتفيا بمقهى المدينة فطلب السيد والاس. ولم يكن هذا موجودا فترك له الرجل الغامض رسالة مؤداها انه يريد ان يبحث معه امرا يتعلق بالتامين ويرجوه ان يوافيه بالعنوان التالي: ٢٥ منلوف كاردنز ايست. اما الوقت فهو السابعة والنصف من مساء اليوم التالي.

واذ علم والاس بالرسالة غم عليه الامر . فقد كان هناك شارع باسم منلوف ولكنه لم يسمع بشارع يقال له منلوف كاردنز ايست. ولم يكن يدري آنئذ ان الناس اجمعين لم يسمعوا به على الاطلاق!

لكن وكلاء التامين هم انفسهم في كل زمان ومكان لذلك قرر والاس ان يلبي الموعد المضروب وان لا يضيع هذه الفرصة.

وفي اليوم التالي العشرين من كانون الثاني تناول الشاي مع زوجته. وفي السادسة والنصف اقبل الصبي الذي يجلب الحليب . وفي السابعة الا ربعا غادر والاس المنزل من الباب الخلفي وكانت زوجته تتبعه فلما هم بالخروج حذرها بان تغلق الباب لوقوع سرقات في الاماكن المجاورة. ثم ودعها وداعا رقيقا ووعدها بانه لن يتاخر اكثر مما يجب.

بيد انه لم يرها ثانية على قيد الحياة!

فبعد ان غادر المنزل عادت هي الى الداخل ورفعت ادوات الشاي. اما الذي حدث بعد ذلك فلا يعرفه احد في العالمين!

اما والاس فقد انطلق في الشوارع كمن يطارد اوزة برية محاولا الوصول الى ٢٥ منلوف كاردنز ايست. وقد استقل عدة سيارات واستفسر من الشرطة والمارة وبحث في مختلف الادلة وانفق في هذا كله ساعتين كاملتين فلم يجد العنوان. واخيرا نال منه التعب والسام فترك المحاولة وعاد الى المنزل في التاسعة الا ربعا.

ادار المفتاح في الباب الامامي فلم ينفتح. دق عليه بلطف فلم ياته جواب. فاستدار الى الباب الخلفي المؤدي الى المطبخ فاستعصى عليه ايضا. وهذا ليس بالغريب لانه هو الذي طلب اغلاقه من الداخل. عاد الى الباب الاماه

وحاول فتحه ثانية فلم يفلح!

وبينا هو في حيرته وقلقه اذ خرج جاره السيد جونستن وزوجته فسالهما ان كانا قد سمعا شيئا يثير الشبهة فاجابا بالنفي. فاخبرهما بانه قد عجز عن فتح البابين ورجا اليهما ان ينتظرا ريثما يكرر المحاولة.

وتصور دهشته حين فتح الباب الخلفي، في هذه المرة، بكل سهولة . . . وحين وجد الضوء الذي شاهده في المحاولة السابقة من النافذة قد انطفا . . . وحين اشعل الضوء فوجد المطبخ قد عبث به اشد العبث؛ حتى صندوق ادوات التصوير قد كسر، وبعثرت محتوياته فوق الارض!

وفي دهشته هذه تذكر ان جوليا كانت تشكو من البرد، وانها قد قررت ان تأوى الى فراشها في وقت مبكر؛ فاندفع الى الطابق الثاني كالمجنون، فاذا بحجرة النوم قد انقلب عاليها سافلها، حتى الاغطية قد انتزعت من فوق الفراش!

هنالك استولى عليه الفزع الاكبر؛ ولندعه يخبرنا، هو، بما حدث بعد ذلك. يقول: «نزلت الى الطابق الاول وفي الحجرة الامامية اشعلت عود ثقاب، فرايت زوجتي ممددة فوق الارض . . . تلمست يدها فاستنتجت انها ميته . . . سارعت الى الخارج، فاخبرت السيد جونستن وزوجته بما رأيت، بكلام لا استطيع ان اتذكره الان.»

كانت جوليا ممددة على بساط قرب الموقد، وتحت كتفها معطف والاس الواقي من المطر. اما الحجرة فقد كانت تسبح بالدم!

وتقول الشرطة ان والاس كان هادئا ازاء الصدمة؛ ولكن الذين يعرفونه يعلمون انه رجل رزين، لا يحب لفت الانظار بمشاهد مسرحية. وانت تعلم من اصول التحقيق، ان الزوجة اذا قتلت، وجهل القاتل، اتهم زوجها بادي الرأي. والعكس بالعكس. وهذا ان دل على شيء، فانما يدل على حقيقة من حقائق الزواج، لا اتبينها على وجه الدقة، ولكني ادرك انها حقيقة مؤسفة.

لقد عاش والاس مع زوجته، ثمان عشرة سنة، في انسجام تام. ولم يجمع بينهما غرام طائش يسكن بعد حين؛ بل ود عميق، واحترام متبادل، وميل متشابه. وقد تزوجا بعد ان تجاوزا الثلاثين. فمن المحال، بالنظر الى طباعهما وظروفهما، ان تكون لاي منهما علاقة غرام مع شخص اخر. ولم تكن حياة

الزوجة مؤمنا عليها، كما لم يكن الزوج محتاجا الى المال. وهكذا فانك مهما تفكر، ومهما تقدر، فلن تجد باعثا معقولا يدفع هذا الزوج الى قتل زوجته؛ وهو بعد هذا كله، رجل تام العقل لا تستطيع ان تتهمه بالجنون.

وعلى الرغم من هذا، قيل في محاكمته، انه حتى الاطفال في الشوارع كانوا يتهمونه! وكان تعليق والاس على ذلك: «انه لامر فظيع ان يفترض اني قد قتلت زوجتي. وكل الذين يعرفوننا جيدا، لا يمكن ان يظنوا او يصدقوا مثل هذا الافتراض، لاسيما واني لم اكن اظفر باية فائدة من موتها.»

وفي ٢٢ نيسان ١٩٣١، بدات المحاكمة في محكمة جنايات ليفربول. وكان تفسير الادعام العام للجريمة، ان والاس هو السيد كوالتراوغ المجهول، وانه هو الذي اتصل بالنادي من هاتف عمومي بالقرب من منزله، كجزء من خطة لاثبات وجوده في غير مكان الجريمة حين وقوعها. اما سبب عدم وجود اي اثر للدماء على ملابسه، فهو انه كان يرتدي معطف المطر وحده. ومعنى ذلك ان الادعاء العام يريد ان يقول ان والاس قد انسل فيما بين السادسة والنصف والسابعة الا ربعا، الى الطابق الثاني، فخلع ملابسه، وارتدى معطفه، ثم قتل زوجته، وحملها الى الطابق الارضي، ثم استحم، فارتدى ملابسه ثانية، وغادر المنزل ... فعل هذا كله في ربع ساعة فقط!

اللهم انك اعلم بما جرى لهذه المراة المسكينة، في ذلك المنزل الصغير. ولكن اذا صحت رواية الادعاء العام هذه، فان والاس يكون اولى بساحة الالعاب الاولمبية منه بساحة القضاء!

ولقد ابرز الدفاع هذه الاستحاله؛ ثم ركز على ثلاث نقاط: لاخلاف بين الزوجين، نقاء سيرة المتهم، انعدام الباعث.

وكان الحاكم في تلخيصه للقضية، الى جانب الدفاع والمتهم. ومع ذلك، فقد قرر المحلفون، بعد ساعة من المداولة، انه مجرم.

وقد تلقى دالاس هذا القرار بجمود.. واكتفى بالقول: «اني غير مجرم». وكان القرار صدمة لكل الحاضرين، ولكل من علم به، حتى الحاكم لم يكن يتوقعه!

وتمـردت روح العـدالـة على هذا الحكم. فراحت الصحف تهـاجم نقـاط الضعف في الادانة؛ وسعى المواطنون، في شتى الاوساط، لاعادة النظر في القضية.

اما المتهم، فقد ظل على جموده، يحدق به اليأس. ولما حان النظر في الاستئناف، لم يكن يأبه للنتيجة في قليل او كثير لقد فقد زوجة عزيزة. وجدها ملطخة بالدم، ومنزلا قضى فيه احلى ساعات العمر، وأصبح الموت يحوم فوق رأسه، فهل من دافع يدفعه الى التعلق بالحياة؟!

ولكن العدالة لابد ان تأخذ مجراها. ولقد كان قرار محكمة الاستئناف البراءة.

وهكـذا انتهت القضيـة بالقيـاس الى اطـرافهـا؛ امـا بالقيـاس الينـا فهي لماتنته... انها ماتزال قائمة تطرح علينا كثيرا من الاسئلة.

واولها السؤال الذي طرحناه في بداية هذا الفصل: من الذي قتل جوليا؟ ولماذا؟

وهل هو لص عادي احتال لابعاد دالاس عن منزله؟

وهل هذا اللص هو كولتراوغ نفسه؟ ولكن الظاهر ان هذا الاخير كان يعلم ان دالاس يقضي اماسي معينة في نادي الشطرنج، فلماذا لجأ الى المناورات، ولم يرتكب جريمته في احدى تلك الاماسي؟

لقد كانت هناك اربعة باونات، وجدت ملوثة بالدم ومحشورة في اداة للزينة، في احـدى غرف النـوم... صحيـح انهـا غنيمـة تافهـة... ولكن اللصـوص لايتركون نقودا لمثل هذا السبب.

ان جوليـا، بعـد تحـذيـر زوجهـا، لم تكن لتسمح لاي غريب بأن يدخـل المنزل... فكيف دخله المجرم المجهول، بدون اي اقتحام؟!

هل الفـاعـل مصـاب بجنـون القتـل، دخـل باحـدى المعجـزات، فنال ثقة الضحية، حتى جعلها تجلس في مقعدها المألوف لدى الموقد، ثم مارس هوايته؟!

وهـل هذا المجنـون، هو كوالتـراوغ نفسـه؟ ولكن مثـل هؤلاء المجـانين، لايلعبون لعبتهم مرة واحدة؛ فلماذا لم يظهر هذا المجنون ثانية؟!

هل هي جريمة انتقام؟ ولكن الانتقام يستلزم العداء؛ والعداء له مقدماته وأماراته؛ وهذان الزوجان، وكذلك اصحابهما، من ألطف خلق الله، ومن النوع الذي لايكاد يجتمع الا من اجل امسية موسيقية فمن اين يجيء هذا الاحتمال؟!

والباب الخلفي لما كان مغلقا اشد الاغلاق في الحاولة الاولى ثم انفتح بكل سهولة في المحاولة الثانية؟!

والمطبخ لماذا كان مضاء في اول الامر، ثم وجده دالاس مظلما حين رجع اليه؟!

واخيرا، لماذا وضع معطف المطر تحت كتفي المجنى عليها؟! هل لديك فكرة عن اجوبة لهذه الاسئلة؟ محال. حتى لوكانت لديك، فانك لاتستطيع ان تجزم بصحتها. ان الحقيقة لايعرفها سوى القاتل نفسه!

المعترف البريء



المعترف البريء

كينبث لونك شاب في السادسة والعشرين، عريف في القوة الجوية الامريكية، متزوج وله طفلان؛ ولكن علاقته بزوجته يسودها الخصام. حصل على اجازة، فاعتزم ان يقضيها مع زوجته وطفليه. وخطر له في المطار ان يشتري هدية ما لتكون سببا للصلح مع زوجته؛ فلم يكن لديه من فائض النقود الا مايكفي لشراء وسادة بسيطة، زاهية الالوان. ثم استقل الطائرة من انكوراج في الاسكا» الى ريجموند في كاليفورنيا.

نقر على باب الشقة، فأدار القبضة، فاذا الباب موصد. نقر ثانية، فاذا صوت زوجته يسأل: من الطارق؟ فأعلن كينث اسمه؛ ولكن الصمت قد طال؛ فنقر ثالثة وهو ينادي زوجته. هناك فتح الباب في بطء وحذر، وأطل وجه زوجته بالنفور؛ وارتدت الى الوراء وهي تغطي صدرها المكشوف، وتلملم اطراف ثوبها المضطرب وبدون ان ترحب به، سألته بقلق عن مقدار اجازته، فأجاب بانها شهر. فقالت على الفور:

- انك لاتستطيع البقاء هنا.

فنظر اليها متحيرا، وسأل متمتما:

- ولكن لماذا؟ اني لاافهم.

فهزت كتفيها باستخفاف، وقالت ببساطة.

- تستطيع الان ان تفهم اني احب رجلا اخر!

وتبع زوجته الى الغرفة، وهوى امامها على ركبتيه، وراح يتوسل بها الا تهدم حياتهما الزوجية، وان تفكر في طفليهما فلم تحفل بهذا التوسل. فعرض عليه ان يذهبا الى كنيسة قريبة، ليسمعا رأي رجل الدين؛ فوافقت على ذلك. وهناك استجابت للنصح، ورضيت بان تعود معه الى الاسكا؛ ثم غادرا الكنيسة يدا بيد، وهما يفكران في المستقبل السعيد.

ولكنهما ماكادا يعودان الى الشقة، حتى نأت عنه بجانبها، ثم توارت في الحمام، فاغلقت الباب من دونها. وطال انتظاره، فراح يناديها. فخرجت وقد ارتسمت على وجهها امارات الاحتقار وجعلت تتضاحك وتقول:

- لقد خدعتك؛ فلست مستعدة للذهاب معك الى الاسكا!

ـ والطفلان؟

ـ مالذي يحملك على الاعتزاز بهما الى هذا الحد؟

فانفرجت شفتاه من الدهشة، ثم سأل:

ـ ماذا تعنين؟

ـ مالذي يجعلك تظن انهما طفلاك؟!

هنالك اطبق عليه ظلام دامس، فلم يعد يذكر منذ هذه اللحظة شيئا!

ـ ٢ ـ

دوّت صرخة الم مريعة، ثم تلاشت في صوت مختنق، غريب. فخرج المجاورون الى الممر، وعلى وجوههم الذعر والقلق؛ ثم فتح باب الشقة ببطء شديد، وخرج كينث ببزته الرسمية، يتعثر في مشيته، وتنتشر بقع الدم على ملابسه. استند الى الحائط غائب الذهن، ثم جعل يتفرس في الذين كانوا يتفرسون فيه. وقال في هدوء عجيب:

ـ اظن اني قد قتلت زوجتي!!

نطق بهذه الكلمات، بطيئة، ضعيفة، متباعدة، فكانه قد مسه الخدر. هنالك اندفع احد الحاضرين، فألقى نظرة داخل الشقة. كانت الزوجة ممددة فوق الارض، ممزقة الثياب، والدم يجري من جرح طويل في الجهة اليسرى من الصدر، ثم يتحول الى بركة داكنة الى جانبها؛ وبالقرب منها مدية ضخمة قد انفرزت في خشب الارض بقوة فظيعة. وكان السرير مضطربا اشد الاضطراب، وفي احد الاركان (روب) مكوّر، ملوث بالدم.

وهبط كينث الى البهو الرئيسي، فدلف الى كشك الهاتف. ادار القرص في ذهول، فملأ العاملة رعبا حين قال:

ـ اظن اني قد قتلت زوجتي... فهلّا اخبرت الشرطة بذلك... اني سوف انتظر في مكاني هذا!!

ـ ٣ ـ

كان المستشار القانوني بقاعدة هاملتن الجوية في حيرة وانزعاج. ذلك اذا كانت رواية كينث للوقائع صحيحة، فيكون قد طعن زوجته وهو في حالة استفزاز وهياج؛ فعلام يصر الادعاء العام على اتهامه بجريمة القتل مع سبق الاصرار؟!

وادرك ان هذا الشاب في ورطة خطيرة، فقرر ان يضع قضيته بين يدي المحامي الشهير الاستاذ جورج ديفز،

وسأل المحامي عن رواية المتهم للحادث، فأجاب المستشار:

ـ انه يقول ان الدنيا قد اظلمت في عينيه، بعد ان لمحت زوجته الى ان الطفلين ليسا منه. . . ولايذكر من بعد ذلك سوى رؤيا غامضة يظهر فيها الشيطان، وتلمع مدية طويلة، حادة. ولكنه لاينكر قتله لزوجته، اذ لم يكن في الشقة غيرهما!

وذهب الاستاذ ديفز مع المستشار القانوي الى السجن. كان المتهم طويل القامة، ممشوق القوام، ضخم اليدين، تتدلى من عنقه مدالية القديس كرستوفر؛ فكرر روايته للحادثة. ونظر المستشار الى المحامي الكبير نظرة تساؤل، فقال هذا:

ـ ان موقفنا في غاية التعقيد. . . اذ من الواضح اننا بازاء حالة من حالات فقدان الذاكرة.

ـ فماذا انت صانع؟

ـ سأسلط عليه التنويم!

ـ ولكن هذا في السجن مستحيل. . . وغير جائز

ـ سأفعل ذلك مهما كلف الامر. . . لان مصير هذا الشاب معلق بنتيجة هذه التجربة.

ـ ٤ ـ

في عصر ذلك اليوم، كان الاستاذ ديفز يعرض قصة موكله على طبيب نفسي راسخ القدم، واقترح عليه فكرة التنويم.

فقال الطبيب:

ـ اني متفق معك في ان المتهم في حالة فقدان للذاكرة، ولكن كيف السبيل الى تنويمه، وهو في السجن؟ وانت تدري ان ادارة السجن لا توافق على ذلك.

ـ سوف اتكفل انا بهذا الامر.

ـ في هذه الحالة لا استطيع استخدام الطرق الاعتيادية في التنويم، لاحتمال وقوع المضايقة او المقاطعة؛ وقد تكتشف المحاولة. لذلك من الافضل ان اعطيه حقنة من بيتاثول الصوديوم.

ـ هذا شأنك. اعطه ماتشاء.

في حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحا، قاد المحامي سيارته الى الساحة الخلفية للسجن، وكان الى جانبه الطبيب النفسي. وبدون اي تردد يلفت النظر، اخرج مسجلا، وتناول الحقيبة من يد الطبيب، فوضعهما بجانب المدخل الخلفي. ثم توجه مع صاحبه الى المدخل الامامي الرئيسي. ورحب بهما المشرف على السجن، اذ كان يعرف الاستاذ ديفز، ووافق على ان يقابلا المتهم في حجرته. ورحب بهما السجان ايضا، اذادرك انهما من ذوي المكانة، والا ماسمح لهما بالمجيء الى غرفة السجين؛ وكذلك لم يعترض وهو يرى المحامي يخرج من الباب الخلفي، ثم يعود حاملا المسجل والحقيبة.

وشرح المحامي للشاب ماذا ينويان ان يفعلا، فوافق على الفور. وبعد فترة وجيزة، كان مستلقيا على سريره غائب الوعي. وراح الطبيب يرسل الاسئلة بدقة، ليستدرج النائم الى استعادة الاحداث التي مرّ بها. وشرع هذا يتكلم ببطء وجهد ليسرد تفاصيل الفترة التي فقد فيها الذاكرة، وقتلت فيها الزوجة. هنالك وقف الرجلان جامدين، فاغري الفم، معقودي اللسان، يحدق احدهما في الاخر، ويتصببان عرقا. لقد كانت تفاصيل فترة الربع ساعة تلك، غير متوقعة، مذهلة لاتكاد تصدق. وتمالك المحامي نفسه، فتذكر اجراءات القانون، فرفع مدالية القديس من فوق صدر المتهم، ثم خطّ للطبيب عبارة يقول فيها: دعه يشهد الله على مايقول. فانحنى الطبيب فوق الشاب، وقال:

ـ كينث... هل تدرك ماذا قلت؟ وهل تعلم ان الله يسمع ماتقول؟

فتنهد الشاب بضعف، ثم اجاب وكأنه يصلي:

ـ ايها السيد المسيح... انت عليم باني اقول الحقيقة.

فاكتفى الاستاذ ديفز بذلك؛ واخذ يحث الطبيب على الخروج باسرع ما يمكن؛ ولكن هذا اعترض بانه لايستطيع ان يترك الشاب

وهو في تلك الحال، فقال المحامي وهو يشير الى المسجل:
- لقد اصبح سرّه هنا، فعلينا ان نخرج هذا المسجل قبل ان يفتضح الامر. وليس هناك من ضير في ان يبقى الشاب على وضعه لحظات اخرى.

وبعد ساعة، دق جرس الهاتف في مكتب المحامي، فاذا المدعي العام يرغي ويزبد قائلا:

- اي عقار اعطيت لموكلك؟
- لماذا هذا السؤال؟ اني لم اعطه اي عقار.
- فمن اعطاه اذن؟
- ولكن ما هي المشكلة؟
- المشكلة اني سأجمع هيئة المحلفين الكبرى في جلسة خاصة، ولن يطلع الغد حتى تكون وصاحبك متهمين! قال الاستاذ ديفز وهو يكتم ضحكة توشك ان تنفجر:
- لا داعي لمثل هذا الجزع.
- انا نفحص الشاب الان. وسوف نكتشف اذا كنت قد اعطيته مخدرا.

واطمأن الاستاذ ديفز الى انهم لم يكشفوا امر المسجل، اما العقار، فقد علم من الطبيب انه لا يعتبر من المخدرات.

- ٥ -

وبدأت المحاكمة. فأعلن المدعي العام انه لن تنطلي عليه مناورات الدفاع والاعيبه، وهو بذلك يشير الى حادثة السجن. فاعترض الاستاذ ديفز على هذا الغمز، ووجه كلامه الى المحلفين:

- اود ان اطمن الادعاء العام، وان اوضح للجميع، ان ليس هناك مناورات ولا ألاعيب. انما هناك ما هو اخطر من هذا بكثير - هناك مصير هذا الشاب المسكين. فالمدعي العام يريد له الموت، ونحن نريد له الحياة، فليبين كل منا سبب مايريد!

فقال المدعي العام مواصلا بيانه:

ـ لقد وضعنا اليد على رسالة موجهة من المتهم الى زوجته، كتبها قبل موتها باسبوع. وفيها يهددها بانها اذا لم تنتقل الى الاسكا، قبل نهاية الاسبوع، فسوف يأتي الى ريجموند فيقتلها.. وقد قتلها الزوج، فعلا، بعد ثمانية ايام من تاريخ هذه الرسالة. وقد طار ثلاثة آلاف ميل لينفذ هذا التهديد! فأي سبق اصرار اوضح من ذلك؟ ثم انتقل الى عرض جوانب القضية الاخرى، دون ان يتلو نص الرسالة، ودون ان يقدمها الى المحكمة. واتضح من ذلك، انه يريد ان يقدمها في حينه ضمن ادلة الاثبات.

وكانت هذه غلطة جسيمة من الادعاء العام ـ فلقد ضيع عنصر المباغته في هذه الرسالة اذ كشف امرها مقدما، وفسح المجال امام الدفاع لكي يتخذ المواقف اللازمة ازاءها، بعد ان كان يجهل امرها كل الجهل.

همس المحامي في اذن موكله يسأله عن الرسالة، فأجاب بانه لايتذكرها على وجه الدقة، فلقد كتب لزوجته رسائل كثيرة، ولكنه لايتذكر ماذا قال في كل منها.

وادرك الاستاذ ديفيز انه اذا لم يحطم هذا الدليل، او يستبعده من بين ادلة الاثبات، فستذهب كل الجهود التي بذلها سدى. وعلى ذلك، راح يلح في ابراز الرسالة، فيرفض الادعاء العام. فلجأ الى المناورة التالية، قال:

ـ اني اريد ان تفحص هذه الرسالة من قبل الخبراء، لنعلم اذا كانت هي بخط موكلي حقا، واذا كان هذا، حين كتبها، تام الوعي، كامل الادراك.

ولم يجد الحاكم مناصا من قبول هذا الطلب؛ فقرر ان تبرز الرسالة للدفاع في الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم. فعقب محامي الدفاع على ذلك قائلا:

ـ سيدي الحاكم، ان المدعي العام يشير الى رسالة معينة. وبما

انه توجد هناك عدة رسائل، فهل نستطيع ان نجعل قراركم ينص على ابراز الرسالة التي تحمل تاريخ الثامن عشر من تموز، والتي تتضمن ـ كما يزعم الادعاء العام ـ تهديد الزوجة بالقتل؟

فجعل الحاكم قراره كذلك.

وحين استؤنفت الجلسة بعد الظهر، وضعت الرسالة امام الدفاع؛ فالقى عليها الاستاذ ديفز نظرة سريعة، فاذا هي مؤرخة في الثامن عشر من تموز، ولكنها لاتحتوي على اي تهديد للزوجة بالقتل بل توسلا بها للالتحاق به في الاسكا.

ودس الاستاذ ديفز الرسالة في جيبه دون ان يعلق عليها بشيء.

ـ ٦ ـ

في اليوم السابع والعشرين للمحاكمة، حاول الادعاء العام ان يدرج رسالة اخرى ضمن ادلة الاثبات ـ رسالة كما ذكر في بيانه الافتتاحي، تحمل تاريخ الثامن عشر من تموز، ويهدد فيها المتهم زوجته بالقتل، اذا لم تلحق به في الاسكا. فاعترض الاستاذ ديفز بان الادعاء العام كان يجب ان يبرز هذه الرسالة في المرة السابقة، استجابة لصيغة قرار المحكمة؛ فابرازه لها الان فيه تضليل ومخالفة للقرار المذكور. ولذلك، طلب عدم قبول الرسالة الجديدة ضمن ادلة الاثبات، فقرر الحاكم رفضها.

وبهت الادعاء العام؛ فلقد انهار اقوى دليل لديه، وبمثل هذه البساطة!

وفي مساء ذلك اليوم، كان الاستاذ ديفز جالسا في نادي الصحافة، يستعرض المراحل التي مضت، والتي ستاتي من مراحل المحاكمة. فسقط عليه صاحبه ال اوسترو، المخبر في صحيفة سان فرانسسكو نيوز، سقوط الفرج. وبدافع فجائي لا يقهر اخبره بقصة التسجيل ومحتواه ثم طلب رايه. فوقع المخبر في الدهشة والحيرة ومضت لحظات وهو لا يقول شيئا حتى اذا ثاب الى نفسه قال:

- هذا شيء مثير للغاية لم اسمع بمثله في حياتي . . . ديفز، يجب ان تعطيني نسخة مكتوبة من هذا التسجيل.

- هل تعدني بانك لن تنشر كلمة منه حتى آأذن لك؟

- اعدك بذلك. واؤكد لك ان نشره سوف يجتاح الصحافة كالاعصار!

وانطلق المخبر بنسخة من ذلك التسجيل.

- ٧ -

في اليوم التالي طلب محامي الدفاع ان يدلي المتهم بشهادته فاستغرب المدعي العام من هذه الجراة في تعريض المتهم للاستجواب والمناقشة! ولما استقر المتهم في مكانه ساله المحامي بكل برود:

- كينث لونك . . . هل قتلت زوجتك؟

واشرابت الاعناق ومرت فترة صمت ولون المتهم يشحب قليلا قليلا ثم تحولت عيناه نحو المحلفين وهما تنمان عن الياس والعذاب وعن الشعور بانه سوف يلفظ الحد الفاصل بين الموت والحياة. وبعد تردد بل شفتيه بانفعال ثم قال بصوت ضعيف متقطع اشبه بالهمس:

- من ظاهر الحال اظن . . . اظن اني يجب ان اكون قد قتلتها . . .!

فازدادت الدهشة وفغرت الافواه حتى الحاكم صار الان يعتقد ان المحامي قد مسه امر ذو بال!

ولكن هذا هز كتفيه بدون مبالاة وقال للمدعي العام مبتسما:

- اضع الشاهد تحت تصرفك!

فبدأ هذا يوجه الاسئلة في حيطة وحذر اذ اصبح على ريبة من الامر كله. ولم يبد الدفاع اي اعتراض على استجوابه بل جلس هادئا يدير القلم بين اصابعه. واعاد المتهم اعترافه وروايته للوقائع كالسابق حتى اذا انقضت ساعة كاملة انهى الادعاء استجوابه بهذا السؤال الاخير:

- لماذا تقول انك يجب ان تكون قد قتلت زوجتك؟

- لاننا كنا الشخصين الوحيدين هناك!

- ٨ -

نهض الاستاذ ديفز فخاطب الحاكم قائلا:

- اعتـرف اني اجـريت على موكلي وهـو في حجـرتـه في السجن وبـدون علم السلطات تجربة نادرة. وقد قام بها احد اساطين التحليل النفسي وسوف يكون شاهـدي التـالي. لقـد حقن هذا العـالم المتهم بمصل بنتاثول الصوديوم وبينما كان الاخيـر تحت تأثيـر هذا المصـل استجـوبـه الخبيـر النفسي. وثبت هذا الاستجـواب بواسطـة المسجـل. فمن الضـروري لكي يستطيع الخبيرّ المذكور شرح جوانب من شهادته ان يستعين بهذا التسجيل امام المحكمة. فانا ارجو من الحاكم ان يأذن بذلك.

ووقع الحاكم في الحرج - انه لا يستطيع ان يرفض هذه الشهادة الهامة ولكن قبـولهـا يستلزم قبـول التسجيـل مهمـا أحيـط به من مخـالفات! فنظر الى المدعي العام ليعلم رايه. فنهض هذا منفعلا مغضبا فقال:

- ليس هناك اي دليل علمي على ان هذا العقار هو مصل للحقيقة. ثم ان التجـربـة قد اجـريت بدون علم الادعـاء العـام فلم تتـح له الفرصة لاستجواب المتهم وهــو تحت تأثيـره. هذا فضـلا عن ان هذه العمليـة باسـرهـا لا تتمشى وقواعد الاخلاق!

واستعر النقاش طوال العصر ثم اجلت الجلسة دون ان يتحذ قرار.

- ٩ -

وفي صباح اليوم التالي احتدم الجدل اعنف مما كان عليه بالامس واستمر كذلك حتى منتصف النهار. ثم اعلن الحاكم انه سوف يتخذ قراره بعد فترة الظهر.

واسـرع الاستـاذ ديفـز الى مطعم قريب. وبينـا هو في طريقـه اليـه هاله ما وقعت عليه عيناه! كانت هناك رفوف منتقلة تعرض عليها صحف اليوم وعلى هذه الرفوف جميعا برز العنوان الضخم التالي في الصفحة الاولى من جريدة الـ (نيوز):

«شهادة نائم تقبل في المحكمة»

اقترب من الجريدة فجرت عيناه فوق الاسطر فاذا قصة التسجيل كلها هناك! وشعر بالارض تميد من تحته؛ انه لم يبذل كل تلك الجهود لتضيع اخيرا على قارعة الطريق! فلو ان الحاكم او المدعي العام او احد منتسبي كل منهما قد راى الجريدة لكان في ذلك نهاية القضية ونهاية المتهم معا!

فلم يضع الوقت واخرج كمية من النقود راح يوزعها على الرفوف فيجمع نسخ الجريدة كلها. ثم اندفع الى مكان منعزل في اخر المطعم فحشرها جميعا داخل حقيبته الضخمة. وقضى فترة الراحة في اسوا راحة! فلما استؤنفت الجلسة دخل المحكمة متوجسا يترقب وهو يتوقع في كل لحظة ان ينبري احدهم وبيده نسخة من الجريدة.

كانت القاعة يسودها التوتر والوجوه يطغي عليها الانفعال والكل يتطلعون الى الحاكم ليسمعوا القرار الحاسم. قال الحاكم: «ان هذا التسجيل يقوم مقام الصورة الماخوذة بالاشعة ومن الممكن ان يوضح لنا الاسس التي بنى عليها الخبير شهادته. ولذلك فان المحكمة تقرر السماح به.»

فاندفع الاستاذ ديفز نحو المسجل فاداره بسرعة ارادة ان تخرج منه ولو كلمة واحدة من قبل ان يدخل احد القاعة وهو يلوح بالجريدة. فما كاد المسجل يدور حتى استرد انفاسه وعاوده الهدوء فاستدار نحو المحلفين فقال:

- حضرات المحلفين... هذه هي اللحظة الحاسمة! فحتى هذه اللحظة لا يعرف المتهم نفسه ماذا قال وهو تحت تأثير المصل. هو مثلكم... سوف يسمع دفاعه هنا ولاول مرة.

فسكن الحاضرون سكونا لا تخفق فيه سوى القلوب ولا تتحرك سوى الابصار.

وراح المسجل يدور ويدور ثم جاء صوت الخبير وهو يسأل وصوت المتهم وهو يجيب. وبين هذه الاسئلة والاجوبة تتعاقب الاحداث - المطار... الهدية... الطائرة... الاولاد... النبا الفاجع المثير...

وهنا اوقف الطبيب الجهاز وقال:

- في هذا الوقت فقد المتهم الذاكرة ولكنه استردها في فترة التجربة فهو الان

يوشك ان يذكر لنا ما وقع في حينه وما محي من ذاكرته محوا.

وادار المسجل ثانية... فجاء صوت المتهم متلعثما متهدجا يشيع فيه رعب شديد...

- سكين! بوبي... من هو هذا الرجل؟

فسأل الطبيب مستجوبا:

- اي رجل؟ هل كان هناك رجل اخر؟

- نعم... كان هناك رجل اخر يحمل سكينا!

- هل رايته من قبل؟

- كلا.

- فماذا حدث بعد ذلك؟

- كانت بوبي تقول لي: انه سيقتلك ياكينث ليخلص كل منا للاخر فنحظى بالراحة والسعادة!

وهنا تردد في جوانب المحكمة صوت بكاء مزدوج - لقد كان المتهم يبكي مرتين دفعة واحدة: مرة في قفص الاتهام واخرى في شريط المسجل!

ثم جاء صوت الطبيب يسأل:

- ماهو شكله؟ هل تستطيع ان تصفه؟

- انه يشبهني... ولكنه اقصر قليلا.

- من اين جاء؟

- لقد خرج من الحمام... وبيده سكين قصاب!

- هل كنت تعلم بوجوده هناك؟

- كلا، لقد كنت احسب اننا - انا وزوجتي - وحدنا في الغرفة.

- فماذا حدث بعد ذلك؟

- قالت بوبي انها ستاخذ الطفلين الى حيث لا استطيع ان اراهما فيما بعد.

- فماذا قلت؟

- رجوتها ان لاتفعل ذلك... وان تحول بين ذلك الرجل وما

يريد منها... عندئذ دخل هذا الغرفة والسكين بيده...
فجرت بينه وبين زوجتي مشاجرة سريعة لم افهم سببها فتشابكا
ثم طعنها.
- هل رايته وهو يقتلها؟
- نعم... لقد طعنها مرتين.
- فماذا فعلت انت؟
- لم استطع ان افعل شيئا... بل لم استطع ان اتحرك قط!
ومرت فترة صمت سمع فيها امراة من المحلفين تلطم خدها
بينما راحت اخرى تمسح الدموع من عينيها! ثم جاء صوت
الطبيب يواصل الاستجواب:
- لماذا اخبرت الشرطة اذن بانك قد قتلتها؟
- لقد اوعز لي ذلك الرجل بهذا... ثم ناولني السكين وخرج
من النافذة الخلفية. لقد كان يرتدي سترة رياضية وسروالا
ازرق.
- وماذا كان اسمه؟
- كان اسمه بيك.

وسادت فترة صمت اخرى... جاء بعدها صوت الخبير وهو يطلب الى
المتهم ان يقسم على مايقول. وبعد ان تم القسم اغلق المسجل فعاد الى
كرسي الشهود. وكان المتهم لما يزل يبكي ويبكي معه محلفان!
وسال الحاكم:
- هل يوجد حقا هذا الذي يدعى بيك؟ واذا وجد فاين يكون؟

فعقب محامي الدفاع:
- اقترح ان تامروا بالقبض عليه بتهمة القتل من الدرجة الاولى.
فايده في ذلك الادعاء العام. ثم اجلت الجلسة.

- ١٠ -

في صباح اليوم التالي طغت تفاصيل المحاكمة على الصفحات الاولى من

جرائد سان فرانسيسكو باسرها. واصبح اسم المتهم ملء الافواه والاسماع واقبل كبار المحررين الى قاعة المحكمة. فلقد القي القبض على هذا الرجل الغامض بيك وطلب المدعي العام وضعه في كرسي الشهادة.

ولعل تاريخ القضاء لم يعرف شاهدا استاثر بما استاثر به هذا الشاهد من فضول واهتمام! لقد كان الجميع يتفرسون فيه واجمين وكانه قد اقبل من كوكب اخر! واعظم ما اثار دهشتهم وعقد السنتهم ذلك الشبه العجيب بينه وبين المتهم! وقد حضر وهو يرتدي السترة الرياضية والسروال الازرق نفسيهما وهذا دليل قاطع على ان ما قاله المتهم في غيبوبته كله حق؛ ذلك لان الرجلين باستثناء اللحظات المشوشة التي وقعت فيها الجريمة وكان المتهم فاقدا للذاكرة انما يلتقيان لاول مرة.

واعترف بيك بانه كان يعاشر المجنيّ عليها وانهما كانا يعتزمان ان يتخذا شقة اخرى. ولكنه انكر الجريمة وقال انه في وقت ارتكابها كان نائما في غرفته في بناية اخرى على بعد مائة ياردة من الشقة. واضاف انه بعد حوالي ثلاثة ارباع الساعة من وقوع الجريمة ذهب الى شقة صديق له وتناول القهوة مع بعض الاصدقاء. وجيء بهؤلاء جميعا فايدوه بل شهدوا بانه كان معهم منذ الساعة السادسة الا ربعا مساء اي بعد اقل من ربع ساعة من وقوع الجريمة!

ازاء ذلك طلب المدعي العام اطلاق سراح الشاهد لعدم كفاية الادلة. فطلب الحاكم الى المحلفين ان يتخذوا قرارهم فتداولوا ست عشرة ساعة ثم قرروا ان المتهم غير مجرم.

دمية الشيطان

دمية الشيطان

كانت صبيحة يوم احد وقد خيم السكون فوق البلدة الصغيرة آرينال. ولم يكن يشق ذلك السكون سوى قرع اجراس الكنيسة المهيب. والى احد المنازل دلف مساعد رئيس الشرطة دان بادلا ومعه اثنان من الدورية. واذا كانوا قد عجبوا لمن كانت تدق الاجراس فان عجبهم هذا قد انقضى حين صاروا داخل المنزل. فقد تمددت على الارض امراة مطعونة في القلب وقد تحول وجهها الى شرائط بفعل اداة حادة. كانت كاملة الثياب حاشا الحذاء والجورب. وعلى الفراش تمدد شاب في الملابس الداخلية فقط وقد طعن هو ايضا.

وكانت الغرفة في اشد حالات الاضطراب تدل على انه قد جرى صراع شديد بين الجاني وضحيتيه. وقد شخص الجثتين صديق للشاب القتيل جاء ليصطحبه في نزهة فاكتشف الجريمة. والقتيل هو مونتوريو كاندالاريا في حوالى الخامسة والعشرين اما القتيلة فهي عمته جوزيفا باكا يقع عمرها بين الخامسة والاربعين والخمسين. واضاف الشاب الصديق ان زوج المراة كثير الترحال وقلما يرى في البلدة.

ولم تخل الجريمة من الادلة. فهناك شق في ستار الباب الامامي الذي يحتمل ان يكون القاتل قد دخل منه. وكانت هناك مجموعتان من اثار الاقدام في انحاء المنزل احداهما لحذاء عادي والاخرى لحذاء رعاة البقر. وعلى نافذة في غرفة النوم وجد اثر اصبع لا يعود لاحد المجني عليهما. وقد اظهر الفحص الطبي ان السلاح القاتل هو مدية جيب وان المراة قد طعنت اربع عشرة مرة اما الشاب فقد طعن ست مرات. وكل هذه الادلة مهمة ولكن كان هناك دليل اخر اثار اهتمام بادلا وهو دمية لصبي من القماش جعل في ذراعها كيس صغير احمر. وحول الدمية وجدت اغصان من العشب وفوق الموقد وجدت غلاية كان احد ما يغلي فيها من ذلك العشب نفسه. وفوق الغلاية استقر سكين وشوكة على هيئة صليب!

فما يعني هذا كله؟ لقد سمع بادلا عن نوع من السحر الاسود تستخدم فيه مثل هذه الدمى وتدعى «دمى الشيطان»؛ ولكنه لم يتوقع ان يواجه مثل هذا السحر في قضية قتل! وليس السحر بجميع انواعه جزءا من ثقافة رجال الشرطة

آو من تدريبهم ولكن الرجل راى انه اذا كانت هذه قضية سحر فمن المفيد ان يلقي نظرة في انحاء ساحة المنزل. وكان حدسه في مكانه ـ فبالقرب من بيت المطبخ وجد قبرا محفورا منذ وقت قريب!

لم يكنْ قبرا كبيرا بل يكفي لدفن دمية صغيرة . وانه لدليل ما ولكن كيف يندرج في هذه القضية؟! من هو الساحر؟ ومن هو المسحور؟ ومن هما القتيلان ـ هل هما واضعا هذه التعويذة ام وضعها احدهم ضدهما؟! وكيف السبيل الى مطاردة احد السحرة؟!

وجلب زوج القتيلة للاستجواب واخذت طبعات لاثار الاصابع والاقدام وفحصت رواية الشاب المخبر بكل دقة فذهبت كل هذه الجهود سدى. هنالك رجع المحققون الى قصة السحر باهتمام زائد. وقد علموا ان هذه الدمية تستخدم رمزا للشخص الذي يجرى له السحر. ولكي يسحر شخص ما يجب ان يؤخذ بعض من شعره وقلامات من اظافره ثم تخاط هذه في كيس صغير يربط الى ذراع «الشيطان». وبعد ذلك يدفن «الشيطان» مع بعض الاعشاب السحرية. فاذا اريد ان يجعل المسحور مريضا وضعت كمية صغيرة من الاعشاب. فاذا وضعت كمية اكبر ازداد مرضه خطرا اما اذا وضعت الكمية الكافية فان المسحور يموت!

وبهذه الطريقة يجعل الساحر الشيطان هو الذي يرتكب العمل القذر نيابة عنه فيشعر بانه لا لوم عليه وكل ما هنالك انه قد رغب في موت ضحيته. ومن المؤكد ان القانون لا يمكن ان يعاقبه على الرغبات. ويجب ان يكون هذا اللون من التفكير هو الذي يحكم ممارسي السحر الاسود. وهم يستاءون من تدخل القانون في شؤونهم الخاصة ويسالون اي حق للقانون في ان يغزو عالم الشيطان؟!

ومهما يكن من شيء فان الأمر الواضح في هذه القضية ان شخصا ما قد اعان الاعشاب السحرية على انجاز الفعل وان الشيطان بريء من ذلك والا فهو ليس من الفظاظة بحيث يستخدم مدية جيب! ومن الممكن ان يكون ضحية

السحر نفسه قد تحول الى قاتل. ولدى التعمق في ممارسات السحر الاسود، تبين ان الاستنتاج المذكور عظيم الاحتمال. ذلك انه توجد طريقة لابطال السحر الذي يلقيه الشيطان. وهي ان على المسحور ان يعثر على «الشيطان»، فيخرجه من مدفنه الذي وضعه فيه الساحر. ومع ذلك، فان لدى الساحر علاجا لهذا الاحتمال؛ وهو ان يغلي بعض الاعشاب السحرية في وعاء، وان يضع فوق هذا الوعاء صليبا من مدية وشوكة. وطالما كانت هذه الاعشاب تغلي على هذا النحو، فان المسحور لا يقدر ان يعثر على الشيطان!

فاذا افترضنا ان القتيلة جوزيفا، او ان اخيها مونتويو، هما اللذان كانا يفعلان السحر، فمن هو هدفهما المقصود؟ انه ليس زوج القتيلة، فلقد كان في مكان بعيد. وقديكون الهدف ذلك الرجل النحيف القصيرذاالشارب الاسودالذي كان يقول هناك من يسحر له. وكان المخبر الاول عن هذا الرجل، شخصا يدعى جاك راتكلف. كان هذا يتنقل في انحاء الولايات المتحدة في عربته، فصادف في الطريق شخصا طلب اليه ان يحمله معه الى البوكرك. وكان هذا الشخص في حالة ذعر واضطراب شديدين، وظل يقول انه ضحية السحر، وان عليه ان يصل الى البوكرك في اسرع وقت. وراح خبر هذا الشخص، ينتقل من فرد الى فرد، حتى بلغ رجال الشرطة والمحققين، فاثار اهتمامهم، ورأوا فيه بارقة امل.

ولكن اين هو جاك راتكلف الان؟ وماهو اسم الرجل المسحور؟ وقد اصبحت هذه الزاوية من القضية اكثر اهمية، حين علم ان الرجل الذي كان المحققون يستجوبونه باعتباره زوج القتيلة، لم يكن في الواقع زوجها؛ وأنها كانت متزوجة من شخص اخر! ولامر ما حملت اسم باكا، ولامر ما قبل هذا ان تحمل اسمه، ولزم الصمت ازاء ذلك. فهل كان ذلك المتشرد المذعور هو زوجها المفقود؟

وفي هذا الوقت عثرت احدى فرق البحث، في كوخ مهجور، على ربطة فيها ثياب ملوثة بالدم، ومدية جيب طول نصلها خمسة انجات. وهجس في نفس بادلا ان هذا الكوخ قد يكون فيه شيء اخر قد فلت من ملاحظة المتحرين. وعلى ذلك، قرر ان يلقى بنفسه نظرة في انحائه. وكان على حق.

فقد وجد على ارض الكوخ المغطاة بالوسخ والتراب اثار اقدام. وهي اثار رجل يلبس حذاء رعاة البقر، كذلك الحذاء الذي وجدت اثاره في مسرح الجريمة. ولم يكن هذا كل ما وجد. فقد راى على منضدة ابريقا من الماء، وصليبا من الخشب! فهل هو السحر كرة اخرى؟! وهجس في نفس بادلا هاجس اخر: ان هذا الكوخ قد يكون المكان الذي يقوم فيه المسحور يرد كيد السحر؛ وعلى ذلك، قد يجيء اليه في اي وقت. فترك بالقرب منه حارسا يلازمه ليل نهار.

وعرفت الشرطة، في هذا الحين، ان اسم الزوج الحقيقي للقتيلة هو اكناسيو كاندالاريا؛ وانه يعيش في ونسلو في اريزونا. وقد انفصل عن زوجته منذ مدة طويلة، ولكن لم يقع طلاق. وحين استجوب باكا الذي تحمل الزوجة اسمه، ثانية، افاد بانه وجوزيفا يحب احدهما الاخر، ولكنها لم ترد ان تحصل على الطلاق لاسباب دينية. وهكذا لجات الى السحر لكي تتخلص من الزوج، ثم يتزوجان.

واثبتت الفحوص المختبرية ان الدم الموجود على الثياب التي عثر عليها في الكوخ، يطابق فصيلة دم المجني عليهما؛ وان اثار حذاء راعي البقر في الكوخ، تطابق التي وجدت في مسرح الجريمة؛ وان اثار الاقدام العادية الاخرى، تطابق حذاء الشاب الذي اكتشف الجريمة. وقد اوضح هذا انه بعد ان دق الباب، ولم يتلق جوابا، دار حول الكوخ، ونظر من النوافذ. وقد ثبت كذلك ان اوصاف الزوج الحقيقي، تطابق اوصاف الرجل الذي حمله راتكلف معه في بعض الطريق. وعلى هذا النحو، استقر كل شيء في مكانه من هذه القضية.

وصدرت الاوامر بالقبض على اكناسيو كاندالاريا. ولكن هذا كان قد اختفى من ونسلو، ولم يترك وراءه اي اثر. ولولا بعد نظر الكابتن باذلا، فلربما بقي مطلوبا حتى اليوم. ذلك ان الحارس الذي وضع لدى الكوخ، قبض على اكناسيو وهو يتسلل الى داخله من نافذة مكسورة. وكان مايزال يلبس حذاء راعي،

البقر.

وجوبه بدمية الشيطان ... وقدر الاعشاب ... والصليب ... فاستولى عليه رعب شديد، وانهارت اعصابه، وجعل يصيح : «لا تدعوني ارى هذه الاشياء ... اجل، لقد قتلتهما ... ولكني لم ارد ان اقتل مونتويو، ولم اكن اعلم انه هناك. اما جوزيفا فقد كانت تصنع السحر، لكي اموت بدمية الشيطان. ولذلك كنت مريضا طوال الوقت، فعزمت على قتلها طلبا للعافية والنجاة! لقد ارغمتها على اخباري بمكان الدمية، فاخرجتها من مدفنها؛ ولكني خفت من مغبة اتلافها، فوضعتها حيث وجدتموها.»

ولكن اكناسيو، اذا كان قد سلم من سحر الدمية، فانها هي التي اسلمته الى يد العدالة!

لغز حذاء الرقص

لغز حذاء الرقص

اسمها ماري اشفورد؛ وهي بارعة الجمال، في العشرين من العمر. وفي صبيحة يوم من ايام الربيع، تركت منزل عمها في لانكلي هيث لتقضي عطلتها في النهار، ولتذهب الى ناد للرقص في المساء. وكان لها اقرباء واصدقاء في بعض القرى والمدن المجاورة؛ واخص هؤلاء الاصدقاء الانسة حنه كوكس، التي سترافقها الى نادي الرقص.

والى منزل صاحبتها هذه انطلقت في الصباح الباكر؛ وهي في ثوب صيفي، وسترة قرمزية، وقبعة من القش مزينة بالاشرطة. وكانت تحمل معها صرة فيها ثوب وجورب ابيضان للرقص. وقد تركت هذه الصرة لدى صاحبتها التي كانت تقيم مع والدتها في اردنكتن. ثم مضت الى برمنكهام لتقضي بعض الحاجات، ولتقوم ببعض المشتريات لعمها، اذ كانت هي المدبرة لشؤون منزله.

وفي السادسة مساء عادت الى اردنكتن، فارتدت مع صاحبتها ثياب الرقص، ولبست حذاء ابيض كانت حنه قد اشترته لها في ذلك اليوم. وبعد حوالي الساعتين، اتخذتا طريق جستر رود، متجهتين نحو نزل تايبرن هاوس، الواقع في فرع جانبي، وعلى بعد ميلين تقريبا. وقد اعتاد ناد محلي على اقامة حفلاته في هذا النزل. وحين وصلت الفتاتان، كانت حفلة الرقص قد بدات منذ حين.

ولم ترقص حنه اكثر من رقصتين. اما ماري فقد كانت موفقة، حسنة الحظ. وقد جذب اليها الانتباه شاب يدعى ابراهام ثورنتن. كان في الرابعة والعشرين، متين البنية، ومن اسرة واسعة الثراء؛ اما الباقون، فهم في الغالب اما من الفلاحين، او من ابنائهم. ومذ دخل ثورنتن القاعة لفتت ماري نظره فسال على الفور: «من هي تلك الفتاة؟» ويزعم احد الفلاحين ويدعى جون كوك ان ثورنتن قال اكثر من ذلك ـ فقد تبجح بانه يعرف شقيقتها معرفة عميقة وارفق هذا التبجح بغمزة عين ثم اضاف انه سوف يستولي عليها مثلما استولى على اختها!

عبر قاعة الرقص متجها نحو ماري ثم سالها ان ترقص معه. فبدا عليها السرور والارتياح وبقيت ترقص معه المرة تلو المرة طوال المساء. ولما حلت

الساعة الحادية عشرة كان الليل لما يزل في شبابه والرقص لما يزل في عنفوانه ولكن الانسة كوكس قد ضاقت بالمكان فاقبلت على ماري وهي تدور راقصة فقالت انها تريد العودة الى البيت وانها سوف تخرج لتجلس على الجسر مع شاب يدعى بن كارتر وسالت ماري: هل تريدين ان تلتحقي بنا هناك؟ فاجابت بانها سوف تفعل في خلال دقيقة او دقيقتين.

وجلس كارتر وحنه على الجسر حوالي نصف ساعة ثم عاد الى المنزل فترة قصيرة جاء بعدها ليخبر صاحبته بان ماري وثورنتن لا يزالان يرقصان ولكنهما وعدا بالمجيء بعد قليل. ثم اقبلا بالفعل فانطلق الاربعة في الطريق المظلم. وبعد مسيرة قصيرة استاذن كارتر للانصراف وترك الفتاتين مع ثورنتن ثم عاد الى حفلة الرقص. وكان المكان الذي فارقهم فيه قريبا من حانة تقع على جانب الطريق ولكن هؤلاء لم يتوقفوا فيها للراحة او لتناول الشراب.

وفي منتصف الطـريق الى البيت كان هنـاك تقاطـع يفتـرق عنـده الطـريق المـؤدي الى منـزل حنـه كوكس عن الطـريق المسمى جستـر رود. وعنـد هذا التقـاطـع كان يسكن جد ماري اشفـورد. فانتـاب الفتـاة الحنين الى جدها بغتة فقررت ان تقضي الليلة في منزله وقالت: «والى جانب ذلك سيكون من الاقرب لي ان اذهب الى منزلي في الصباح.»

كان ثورنتن يدور حول ماري فنسيت ثيابها ومشترياتها التي تركتها في بيت حنـه. ولم تذكـرهـا هذه بهـا اذ لاحظت ان الاثنين يريـدان التخلص منهـا. فودعتهما واتخذت طريقها الى المنزل وحيدة. والذي لا مرية فيه ان الفكرة التي كانت تلازمها في الطريق هي ان بعض الفتيات يجتمع لهن الحظ كله في ليلة واحدة!

وفي الساعة الرابعة صباحا استيقظت على دق الباب. فهبطت السلم والنوم مايـزال في عينيهـا، وحين فتحت البـاب وجـدت ماري قد اقبلت لتـاخذ الثياب والمشتـريـات. ثم راحت تستبـدل بسـرعـة جوربهـا الابيض باخـر اسود، وثوب الحفلة بثوب النهار. كانت هادئة، مرحة، ولا يشغل بالها سوى العودة الى منزل عمهـا، اذ كان ذلـك يوم التسـوق، فعمهـا في اشـد الحـاجـة اليها. ثم اخبرت صاحبتها بانها قد نامت في منزل جدها. فسالت هذه : واين الجميل الجديد

... اين ثورنتن؟ فاجابتها : اوه، لقد مكث معي وقتا ما، ولكنه الان في بيته.

ولامر ما، ولربما هو السرعة، تركت حذاءها الاسود العادي في الربطة، واتخذت سبيلها وهي ماتزال تلبس حذاء الرقص الابيض. ووقفت حنه ترقبها وهي تختفي في اعماق الظلام - فتاة وحيدة تعود الى منزلها من حفلة رقص ريفية، متواضعة، لتصبح بعد ساعات قليلة اشهر امراة في انكلترا!

كان الطريق يؤدي بها الى الملتقى الذي يقطن عنده جدها؛ ثم الى طريق اخر مواز لجستر رود، والى شماله بقليل. وعند هذا المكان، كان من الطبيعي ان تتجه الى اليمين نحو منزل عمها.

وفي الساعة السادسة صباحا، اقبل عامل يدعي جورج جاكسن، يسعى وسط الحقول ليصل الى مكان عمله من اقصر الطرق. وكان في تلك الحقول حفرتان او ثلاث فيها ماء. وكانت جوانب احدى تلك لحفر، منحدرة، زلقة؛ وتحيط بها خمس اوست اشجار. وعند حافة هذه الحفرة، راى جاكسن : ربطة، وقبعة نسائية من القش، وحذاء ابيض.

وقد نم هذا المنظر، بالقياس اليه، عن وقوع حادث. فتلفت حوله، فوجد كوخا قريبا؛ فسعى اليه، فابلغ اهله بها راى. ويبدو ان حب الاستطلاع لديه كان ضعيفا، فاكتفى بما فعل، ثم مضى الى عمله.

وتجمعت زمرة من الرجال حول الحفرة. فجاء احدهم بمجرف ربط اليه بعض السيور الطويلة، ثم راح يلقي ذلك وسط الماء ثم يسحبه، وفي المرة الثالثة برزت جثة امراة. فعرفت على الفور انها جثة ماري لشفورد!

فراح بعض الرجال يتفحص ارض المنطقة، فوجدوا في حقل مجاور، حرث حديثا، اثارا استنتجوا منها تفسيرا للماساة. كانت هناك اثار اقدام لرجل وامراة -

تارة يسيـران، وتـارة يجـريـان. او هكـذا خيـل اليهم. وكـان تقاطع تلك الاثار، والطريقة التي بها التوت، قد اوحى اليهم بان المراة كانت تراوغ محاولة الهرب. ثم راحت اثار اقدام الرجل تبتعد عن المكان. وراوا بالقرب من حافة الحفرة، اثر القدم اليسرى لرجل، منحية الى الجانب قليلا، فكانه كان يحاول ان يرمي شيئـا في المـاء. ومن هذا كله استخلص هؤلاء المحققـون الهـواة ان ماري اشفورد قد طوردت ثم ادركت ثم اغتصبت ثم قتلت!

كان دانييل كلارك صاحب نزل تايبرن هاوس يعرف الشاب الذي لازم ماري اشـفـورد في حفـلة الـرقص . فركـب حصـانـه وانطـلق نحـو المكان الذي يعمل فيه ثورنتن. وفي منتصف الطريق التقى به وهو راكب ايضا ومتجه نحو النزل . كان مظهره اعتياديا لا ينم عن شيء يقلقه او يشغل باله. فساله:

- ماذا حدث للفتاة التي انصرفت معك من النزل في الليلة الماضية؟

ولم يجب ثورنتن على الفور فمضى كلارك قائلا:

- لقد قتلت والقيت في حفرة!

فصاح ثورنتن:

- قتلت! كيف وقد كنت معها حتى الساعة الرابعة صباحا؟!

فرد كلارك:

- على كل حال من الافضل لك ان تاتي معي فتبرىء ذمتك.
- اني استطيع ان افعل ذلك في برهة وجيزة.

وفي النزل اسر الى كلارك انه قد غازل ماري مغازلة محمومة ولكنه لم يلق منها اية معارضة واكد انه ما من شيء وقع بينه وبينها قد تم بدون رضاها. وهذا كل ما هناك فهو لم يرتكب اية جريمة.

وكانت افادته امام قاضي التحقيق انه قد امضى الساعات بعد منتصف الليل مع ماري وهما يهيمان في الحقول والمنعطفات القريبة من منزل جدها. وعند الساعة الرابعة صباحا اصطحبها الى منزل حنه في اردنكتن. فانتظرها فترة ثم

ترك الانتظار وذهب الى منزله. وبين الطريق الذي سلكه والاشخاص الذين التقى بهم. وقد كانت هذه هي افادته من البداية الى النهاية لم يغير منها شيئا.

ولم تجزم نتائج التشريح بشيء. فالظاهر ان سبب الوفاة هو الغرق. اما الاغتصاب فقد قال الطبيب انه امر جدلي يمكن اثباته ويمكن نفيه. ومن ذلك يظهر ان لا تناقض بين هذه النتائج وبين ما ادلى به ثورنتن في افادته.

وقد طابقت الاثار التي وجدت في الحقل كلا من حذاء ماري الابيض وحذاء ثورنتن واقتنع المحققون بهذه المطابقة على الرغم من ان فحصهم قد جرى بعد ان شوهت الامطار تلك الاثار وبعد ان سار في المنطقة العديد من الاشخاص. وكان الحقل الذي تقع فيه البركة مغطى بالعشب فلم يجدوا فيه سوى ذلك الاثر الوحيد عند حافتها فافترضوا انه لحذاء ثورنتن دون ان يفحصوه!

وتألب الراي العام على المتهم منذ البداية فيبدو انه قد كان رديء السيرة.

والافلام السينمائية ترينا كيف تتركز التهمة في شخص بريء حتى تسلمه الى يد الجلاد ولكنها قليلا ما ترينا ان البريء يستطيع ان يثبت براءته من معظم التهمة وان يلقي على ما تبقى منها ظلا من الشك يكفي لعدم ادانته.

وهنا لدينا شاب سيء السمعة يُرى الى وقت متاخر مع فتاة طيبة ساذجة ضعيفة وقد تبجح - حسب احد الشهود - بانه سوف يستولي عليها كما استولى على اختها ثم يُعثر على هذه الفتاة ميتة بشكل غامض. فهل تتوقع ان تُوجه التهمة الى غيره؟ وهل تنتظر من الراي العام الا ان يهب للمطالبة براسه؟

واصبحت ماري بغتة مشهورة في طول البلاد وعرضها - يستشهد بها الوعاظ في مواعظهم ويؤلف عنها الكتاب مسرحياتهم. وقد نذر القس الدكتور يوكر نفسه للدفاع عنها والانتقام لها. وكتب لقبرها العبارات المؤثرة التالية: « هنا تحذير للفضيلة النسائية ونصب تذكاري للعفة الانثوية لقد ارتادت مكانا للتسلية دون حماية كافية فتعرضت للاغتصاب والقتل بضراوة. » ولم يكتف بذلك بل زين صخرة قبرها بقطعة شعرية جاء فيها:

ماري ايتها التعيسة . . . من قتلك دون ان يخزه ضميره!؟
ان العقاب الإلهي الذي لا ينام سوف ينطلق في اثره.

واما ما كان من امر التعيس الآخر فقد القي في السجن لحين محاكمته. وانضم الكثيرون الى القس يوكر مطالبين بان يخنق هذا الشاب بحبل المشنقة!

وكانت نظرية الاتهام ان ثورنتن قد اخفق طوال الوقت ما بين منتصف الليل والساعة الرابعة صباحا في ان يحقق ما تبجح به من الاستيلاء على ماري. فما كان منه الا ان انتظرها حين ذهبت الى منزل حنه ثم طاردها وسط الحقول فاغتصبها ثم رمى بها في البركة وهو لما يزل تحت وطاة التهور!

وشهد شاهد يدعى جون هوميج انه كان يصطحب فتاة الى منزلها بعد حفلة الرقص فرای في حوالي الساعة الثالثة صباحا ثورنتن مع فتاة جالسين على دكة بالقرب من بل لين. فحيا ثورنتن بتحية الصباح فرد عليه ردا لطيفا. اما الفتاة فقد خفضت وجهها لكيلا يعرفها. وشهد ثلاثة عمال انهم كانوا في طريقهم الى عملهم في الصباح الباكر فراوا ماري ذاهبة الى بيت حنه ثم خارجة منه. وكان ذلك بين الساعة الثالثة والرابعة والنصف صباحا وقد سبق لضوء النهار ان بدا ينتشر. وشهد شاهد خامس انه قد رآها وحدها كذلك في الساعة الرابعة والنصف صباحا بالقرب من تقاطع الطرق وعلى بعد خمسمائة يارد من الحقل التي وجدت الجثة فيه.

فان كان هذا كله ليس مؤيدا لافادة ثورنتن كل التاييد فليس فيه على الاقل ما يناقضها بها.

اما نظرية الدفاع فهي ان المتهم ما كان ليستطيع ان يقتل الفتاة وهو لم يكن في مكان الجريمة حين وقعت. فلقد شوهدت ماري وحدها في الساعة الرابعة والنصف صباحا وعلى مسافة قريبة من البركة التي وجدت فيها جثتها. واكثر من ذلك قدم الدفاع ثمانية شهود راوا ثورنتن في طريقه الى منزله بين الساعة الرابعة والنصف والخامسة والربع صباحا. راوه في نفس الطريق الذي ذكره في افادته الاولى وفي نقاط مختلفة منه وتكلم معه بعضهم. وهكذا كانت روايتهم منسجمة مع روايته ومؤيدة لها.

وقد طلب القاضي الى المحلفين ان يقرروا ما اذا كان بامكان المتهم ان يقوم بتلك المطاردة مع جميع الظروف الملابسة لها وان يصل بعد ذلك الى منزله في فترة لا تتجاوز العشرين دقيقة والمنزل على بعد ثلاثة اميال ونصف من

مسرح الجريمة!

فجمع المحلفون رؤوسهم بعضها الى بعض دون ان يتركوا اماكنهم وتشاوروا ست دقائق ثم قرروا ان المتهم غير مجرم بالقياس الى تهمة القتل. فاسقط الادعاء العام تهمة الاغتصاب ايضا واصبح ثورنتن مطلق السراح.

وسخط الناس لهذا القرار اشد السخط وراحوا يتهامسون بان الرشوة قد لعبت دورا في اتخاذه وجددوا العزم على الانتقام. وهكذا ظلت القضية تشغل الاذهان وتزداد شهرة وذيوعا يوما بعد يوم.

هنالك تذكر احد المحامين قانونا عتيقا مفاده ان الناس اذا انكروا قرار البراءة وظل دم المجنى عليه يصرخ من تحت الارض حق لورثته ان يطالبوا باعادة المحاكمة. فحرض وليم اشفورد شقيق ماري ووريثها على تحريك هذه الدعوى وهكذا وجد ثورنتن نفسه في غياهب السجن ثانية. ولكن المحامي العبقري جابه مشكلة ليست باليسيرة ـ اجل ان القانون يجيز المطالبة باعادة المحاكمة في مثل هذه الاحوال؛ ولكن هذه تجري في هذه المرة عن طريق المبارزة. وتفصيل ذلك ان تختار قطعة ارض مساحتها ستون قدما مربعة فيجلس على جانب منها القضاة. ثم يستدعى كل من الطرفين وهما يحملان قضيبا خاصا طوله ذراع وفي راسه قرن ودرعا ذا اربع زوايا من الجلد. وينبغي لهما ان يكونا حاسري الراسين حافيي القدمين في ثياب متشابهة سوى ان يكون ثورنتن حليق الراس. ثم يتناول هذا الكتاب المقدس بيمينه وياخذ يد اشفورد بيساره فينطق بصيغة قانونية معينة فيعيدها خصمه بعده. ثم يقسمان سوية على قسم خاص. وبعد ذلك تبدا المبارزة وتستمر حتى تظهر نجوم المساء. فاذا عجز ثورنتن عن مواصلة المبارزة الى ذلك الحين شنق على الفور. اما اذا قتل اشفورد او واصل المبارزة حتى طلوع النجم فيحكم ببراءته.

وحين علم اشفورد ان هذا هو حكم القانون اسقط في يده ذلك انه كان ضئيلا خائرا وكان خصمه ضخما قويا. فلما سئل ثورنتن من قبل القضاة هل هو مجرم؟ اجاب: كلا . . . وانا مستعد للدفاع عن براءتي بجسمي! ثم قلف بفرو قفاز الدرع على الارض فلم يلتقطه وليم.

وعلى ذلك اطلق سراح المتهم ثانية والغى القضاة المحاكمة عن طريق

المبارزة.

بيد ان ثورنتن ظل يتعرض للمضايقة والمطاردة فاضطر الى الارتحال الى الولايات المتحدة. وهناك تزوج وعاش عيشة الرخاء اكثر من اربعين سنة.



السعر
دينار ونصف

الناشر
مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع
بغداد ـ المنصور ـ .ص ب ٢٧٠٣١ هاتف ٥٥٢١١٤٢

رقم الايداع ١٣٧٦ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٤

بغداد ـ مطبعة اركان ـ خلف فندق ميرديان ـ هاتف ٨٨٨٩٤٣٧